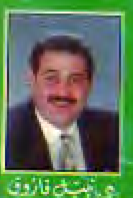


^RAYAHEEN^
www.liilas.com/vb3



رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

- ثلاثة أبطال ، يقاتلون المحتل كالأسود ..
- وأربعة أسرى ، فى أحراش (كولومبيا) ..
- وصبيّة حسناء هاربة ..
- والكل يسعى لكشف القناع ، عمّا يربط كل هذا ببعضه ..
- فهل يمكن أن ينزاح القناع ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وشارك بعقلك وكيانك رحلة الرجل .. (رجل المستحيـ

152



رجل المستحيل

(أدهم صبري) ... ضابط مخابرات مصري ، يرمز إليه بالرمز (ن ـ ١) .. حرف (النون) يعني أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعني أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبري) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة ، وبراعته الفائقة في استخدام أدوات التنكّر و(المكياج) ، وقيادة السيارت والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبري) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبري) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ تقرير ..

صمت عجيب ، ذلك الذي خيم على تلك المنطقة الوحشية ، من أحراش (كولومبيا) ، في تلك الساعة المبكرة ، من تلك اليوم ..

كانت الشمس تتثاءب ، وتتأهب لبدء رحلة شروقها ، والكائنات كلها تترقب دفأها في شغف ، بعد ليلة ممطرة طويلة ، وأوراق وأغصان الأشجار تنفض عنها قطرات الماء الثقيلة ، و ...

وفجأة ! دوى هدير محركات سيارة قوية ، من سيارات الدفع الرباعي ، اندفعت كوحش ثائر ، تشق طريقها بين الأحراش ، في سرعة مخيفة ، توحي بأن قائدها لا يبالي بما يعترض طريقه ، من نبات ..

أو حيوان ..

أو طير ..

ثم تبعت تلك السيارة سيارة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وكلها تنطلق على نفس النحو ..

وبنفس السرعة ..

وفى ذعر هستيرى ، انطلق كل من كائنات الأحراش ، ينشد الفرار بحياته ، أو يفسح الطريق أمام تلك الوحوش المعدنية ، التى ملأت زمجرتها النطاق كله ، وأيقظ ضجيجها الموتى فى قبورهم ..

وعند منطقة كثيفة الأشجار ، توقفت سيارة المقدّمة بحركة حادة ، جعلتها تدور حول نفسها على نحو مخيف ، قبل أن يتصاعد من مخرج عادمها دخان كثيف ، حجب جسد ذلك العملاق مفتول العضلات ، الذى وثب منها فى خفة مدهشة ، وهو يحمل مدفعًا آليًا ضخمًا ، فى حجم ذراعه كلها ، ولم تكد قدماه تلمسان الأرض ، حتى أطلق نيران مدفعه هذا فى السماء ، وهو يطلق صرخة وحشية هادرة ، امتزجت بدوى نيرانه ، وبصرخات أطلقتها كائنات المكان ؛ لتصنع كلها لوحة همجية رهيبة مخيفة ، قبل أن يخفض العملاق فوهة مدفعه ، صارخًا :

– أين أنتم ؟!

كان فريق من الرجال قد برز بالفعل ، مع هدير محركات السيارات وهى تقترب ، ولكنهم وثبوا كلهم أمامه ، فور إطلاقه نيرانه ، حتى إنه لم يكد يتم صرخته ، حتى كانوا قد تراصوا فى صفين ، أشبه بجيش نظامى صغير ، فى تلك البقعة ، فتألقت عيناه ببريق عجيب ، وهو يدير بصره فيهم ، قبل أن يصرخ فجأة ، فى ابتهاج وحشى :

– لقد أتممنا الصفقة .

انطلقت بعدها صرخات الظفر من الرجال ، واندفعوا يتعاونون مع زملائهم ، ممن أتوا بصحبته ؛ لحمل مجموعة من الصناديق من السيارات ، ونقلها إلى كتلة كبيرة ، تخفيها شبكة مموّهة هائلة عن الأنظار ، فى حين ظهرت امرأة قوية ، خمرية البشرة ، ذات شعر أسود فاحم ، وعينين فى اتساع وجمال عيون المها ، وابتسمت وهى ترفع مدفعًا آليًا صغيرًا ، من الطراز الإسرائيلى ، قائلة :

– كنت أعلم أنك ستفعلها .

نطقتها ، ثم وثبت بين ذراعيه ، وهى تطلق ضحكة ظافرة عابثة ، فجذبها إليه ، قائلاً :

- لن تصدقى ما سترينه يا (لوتشيا) .

واندفع بها نحو تلك الصناديق ، التى تراصت إلى جوار بعضها البعض ، وأضاف وهو يرفع الغطاء عن أحدها :

- هل وقعت عيناك يوماً على مشهد أكثر جمالاً ؟!

أطلقت شهقة قوية ، بدت وكأنها قد انتزعت أحشاءها ، وهى تحدق فى تلك الكمية الهائلة من الدولارات الأمريكية ، من فئة المائة ، والتى تملأ الصندوق ، وبرقت عيناها على نحو جعله يطلق ضحكة ظافرة أخرى ، وهو يشير بيديه إلى الصناديق التسع الأخرى ، هاتفاً :

- كلها تحوى الكمية نفسها .

انحنت (لوتشيا) ، والطمع يتقاطر مع كل خلية فى جسدها ، وقبضت على كمية من الدولارات ، وألقتها فى الهواء ، ثم تركتها تنسكب على جسدها ، هاتفة :

- هل حصلت على المبلغ كاملاً ؟!

هتف فى حماس :

- بالتأكيد .

ثم مال على أذنها ، وتابع بلهجة تكفى لمضاعفة جشعها ألف مرة :

- مليار دولار .. أكبر صفقة فى تاريخنا كله .

أطلقت ضحكة مجنونة ، ووثبت بين ذراعيه مرة أخرى ، هاتفة :

- هل سيمكنك الآن أن تبتاع لى جزيرة خاصة ؟!

لوّح بمدفعه هاتفاً :

- بالتأكيد .

صفقت بكفيها فى جذل كالأطفال ، وهى تقول فى لهفة :

- دعنى أراجع الخريطة مرة أخرى إذن ، وسأنتقى الجزيرة التى أريدها ، و .....

قبل أن تتم عبارتها ، اندفع أحد الرجال إلى المكان ، هاتفاً :

- سنيور (لاماس) .. لقد تلقينا اتصالاً لاسلكياً عاجلاً .

التفت إليه (باولو لاماس) ، زعيم تجار المخدرات فى أحراش (كولومبيا) ، وهو يتساءل :

ـ بشأن الأسرى ؟!

أجابه الرجل فى توتر ، وهو يناوله ورقة مطوية :

ـ كـلاّ .

اختطف (لاماس) الورقة من يده اختطافاً ، وفضها فى سرعة ، ولم يكد يطالع محتواها ، حتى انقلبت سحنته على نحو مخيف ، ثم عاد يرفع فوهة مدفعه الآلى .

وانطلقت نيرانه هذه المرة بلا انقطاع ..

وسط أحراش (كولومبيا) ..

الرهيبة ..

* * *

« كولومبيا !! »

هتف مدير المخـابرات المركزية الأمريكية بالكلمة ، فى دهشة مستنكرة ، وهو يطالع الأمر المباشر ، الذى تلقاه من الرئيس الأمريكى ، ثم لم يلبث أن ألقى الورقة على سطح مكتبه ، وهو ينهض ، مستطرداً فى حدة غاضبة :

ـ ألن يكفوا عن عبثهم الأحمق هذا ؟!

تساءل مساعده فى شىء من الحذر :

ـ بم يطالبوننا هذه المرة ؟!

ـ بشن حرب .

ارتفع حاجبا مساعده ، وهو يهتف :

ـ شن حرب ! ومنذ متى كان ...

استوقفه مدير المخابرات الأمريكى بإشارة صارمـة من يده ، وهو يقول فى حدة :

ـ اصمت .

أطبق الرجـل شفتيه على الفور ، دون أن يتم تساؤله ، الذى لم يصفح عن فحواه بعدها أبداً ، فى حين استطرد مديره فى عصبية :

ـ اصمت ودعنى أفكر .

قالها ، وابتعد نحو النافذة البعيدة لحجرته ، وعقله يسترجع هذا الموقف المتشابك العجيب ..

فمنذ تسلم منصبه هذا ، عقب إجبار سلفه على الاستقالة ، كان الموقف يوحى بأن كل الأمور قد هدأت واستقرت .

الزعيمة الغامضة خسرت معركتها الطويلة العنيفة .. بعد مواجهة شرسة مع (أدهم صبرى) ، فى قلب المحيط الأطلنطى .

مواجهة انتهت بنسف جزيرتها ..

ومصرع الجميع ..

هى ..

و(منى) ..

و(قدرى) ..

و(شريف) ..

و(ريهام) ..

و(آدم) ، ابن (أدهم) من (سونيا جراهام)(*) ..

وحتى (أدهم صبرى) نفسه(**) ..

أو هكذا ما أعلنته البيانات الرسمية ..

(*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٤) .

(**) راجع قصة (النهاية) .. المغامرة رقم (١٥٠) .

أو ما تمنى الجانب الأمريكى حدوثه ..

واستراح إليه ..

إلا أنه لم يجد دليلاً مادياً على حدوثه أبداً ..

مئات من فحوص الحامض النووى ، لم تثبت وجود أى دليل ، على مصرع (أدهم) ..

أو أحد من رفاقه !!

ومع تاريخ (أدهم) العجيب ، الذى لا يشبه تاريخ أى رجل مخابرات آخر ، بدأ هذا يثير فى النفوس الكثير من الشك ..

والترقب ..

والقلق ..

والخيال ..

وبخاصة عندما ظهر ذلك المقاتل المجهول ، فى قلب مدينة (الفالوجا) العراقية الباسلة ..

مقاتل من طراز خاص ..

خاص جداً ..

أسلوبه لايشبه أبداً الأسلوب التقليدى لرجال المقاومة العراقية .. وجرأته تبدو بلا حدود ..

ومهاراته تتجاوز حدود المنطق ..

وحاجز المستحيل ..

كان يظهر فجأة ، عند الحاجة إليه ، ثم لايلبث أن يختفى بسرعة ، بعد أن ينجز مهمته ببراعة مذهلة ..

وكان من الطبيعى أن يثير هذا انتباه واهتمام الجميع ، وعلى رأسهم المخابرات المصرية نفسها ..

وبكل ما تملك من وسائل ، سعت المخابرات المصرية لمعرفة هوية ذلك المجهول ..

وتسابق معها الكل فى هذا ..

الأمريكيون ..

والإسرائيليون ..

وحتى العراقيون أنفسهم ..

ولكن ذلك المقاتل ظل مجهولاً ..

جريئاً ..

مقداماً ..

وخفياً ..

وبدأ الكل يضع نظرياته ..

واحتمالاته ..

وتوقعاته ..

وذلك المقاتل يواصل نجاحاته ..

وانتصاراته ..

وتحطيمه لغطرسة وجبروت المحتل الأمريكى الغاشم ..

وفى الوقت ذاته ، ظهرت على الساحة فجأة تلك الصينية الحسناء (تيا) ، مساعدة الزعيمة السابقة ؛ تجرى اتصالاتها مع مستر (X) ، زعيم أقوى تنظيم إجرامى للجاسوسية فى العالم ، وتعرض عليه صفقة مثيرة للغاية ..

رفاق (أدهم) الأربعة ، مقابل مبلغ ذى ستة أصفار ..

وكان هذا يعنى أن (منى) و(قدرى) و(شريف) و(ريهام) على قيد الحياة ..

أو أنه من المحتمل كونهم كذلك ..

لا أحد أمكنه الجزم ..

فالصينية مراوغة للغاية ، وخبيثة إلى حد مستفز ، ومخادعة على نحو محير ..

وقاتلة بلا رحمة ..

وبلا قلب ..

وعلى الرغم من كل احتمالات الخداع ، وافق مستر (X) على إتمام الصفقة ؛ لما قد تحمله له من تفوق ..

وحصلت (تيا) على أصفارها الستة ..

ولم يحصل هو على صفقته ..

لقد خدعته هي حتى اللحظة الأخيرة ، وأخبرته أن رفاق (أدهم) هناك ، في قلب أحراش (كولومبيا) ، تحت حراسة صديقها إمبراطور المخدرات الوحشي (باولو لاماس) ..

ولأنه لم يعتد الخسارة ، قرر مستر (X) أن يربح المعركة بأية وسيلة كانت ..

حتى الحرب ..

في الوقت نفسه ، كان الإسرائيليون قد أرسلوا إلى (العراق) المحتل ضابط مخابراتهم الفذ (إيثان كوهين) ؛ للمعاونة في كشف هوية ذلك المقاتل المجهول ، والتي انحسرت في احتمالين ، لا ثالث لهما ..

إما أنه أحد رجال المخابرات العرب ، الذين قام (أدهم صبري) بتدريبهم شخصياً ..

أو أنه (أدهم صبري) نفسه ..

(أدهم) ، الذي لم يلق مصرعه ، في انفجار جزيرة الزعيمة ، أو ....

« كلا .. هذا مستحيل !! »

هتف مدير المخابرات الأمريكي بالكلمة في عصبية ، جعلت مساعده يسأله في حذر :

- ما هو المستحيل يا سيدي ؟!

أشار المدير بيده في عصبية ، إلى تقرير موضوع فوق مكتبه ، وهو يقول :

- تلك التقرير هناك ، وصلنى منذ دقائق فحسب ، ويؤكد أنهم قد عثروا أخيرًا على ما يثبت مصرع ذلك المصرى ، فى جزيرة الزعيمة .

بُهت مساعده للقول ، وغمغم ، على الرغم من إدراكه الجواب جيدًا :

- أى مصرى ؟!

هتف مدير المخابرات محنقًا :

- (أدهم) .. (أدهم صبرى) .. إنه ليس ذلك المقاتل المجهول فى (العراق) حتمًا .

اتسعت عينا مساعده ، وهو يقول مبهوتًا :

- من هو إذن ؟!

لم يدر له ، وفى نفس اللحظة التى ألقى فيها تساؤله ، كان هناك من يطرح التساؤل نفسه هناك ..

فى (العراق) ..

وبالتحديد فى حجرة مكتب الجنرال الأمريكى (أيكون) ، المسئول فى مكافحة المقاومة العراقية ، والذى حاصر فيه

الإسرائيلى (إيتان كوهين) ورجاله ذلك المقاتل المجهول ، و ....

ودوت الرصاصات(*) ..

* * *

لم يشعر (إيتان كوهين) ، فى حياته كلها بالظفر والزهو ، مثلما شعر بهما فى تلك اللحظة ، فى مكتب (أيكون) ..

لقد كشف خداع ذلك المجهول ، وحاصره مع رجاله ، وصوبوا فوهات مدافعهم الآلية إليه ..

ولأنه درس تاريخ (أدهم صبرى) جيدًا ، وتعلم منه الكثير ، فقد اتخذ قراره بألا يقع أبدًا فى الخطأ الشهير ، الذى وقع فيه كل من أوقعوا بـ (أدهم) من قبل ..

وتصوروا أنهم قد انتصروا عليه ..

إنه لن يفاوض ..

أو يناقش ..

أو يحاور ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (العودة) .. المغامرة رقم (١٥١) .

سيطلق رجاله النار على من أمامهم أولاً ..

وبعدها ينزع عن وجهه القناع ..

خطة لايمكن أن تفشل ..

أو تمنح الخصم فرصة واحدة للإفلات ..

لذا ، فبمنتهى الحزم ، رفع يده بإشارة يحفظها رجاله جيدًا ..

وكان عليه أن يخفضها ..

فقط يخفضها ، لتنطلق الرصاصات ، وتحصد ذلك المجهول بلا رحمة ..

و ....

ولكن الرصاصات دوت فجأة ، في مكتب الجنرال (أيكون) ..

بمنتهى القوة ..

حتى قبل أن يخفض يده ..

ومع دويها ، ارتفع صوت صارم ، يقول بالعبرية :

- سأنسف رأس أول من يتحرك منكم .

استدار (إيتان) ورجاله في ذهول ، إلى الرجل الذي تراجع إلى الخلفية ، والذي خفض فوهة مدفعه الآلي نحوهم . والدخان يتصاعد منها ، إثر الرصاصات التي أطلقها على السقف ، وهو يتابع بنفس الصرامة ، ونفس العبرية السليمة :

- وسيسعدني أن أبدأ بأعلاكم رتبة .

ارتجف الجنرال (أيكون) مع العبارة ، وحدق في الرجل بدوره ، وغمغم عندما رأى (إيتان) ورجاله يلقون أسلحتهم أمامه :

- أليس هذا ؟! أليس ...

قاطعه (إيتان) ، وهو يهتف في عصبية :

- (جوزيف) .. هل ..

كان وقع أقدام رجال الجنرال (أيكون) يعلو ، وهم يعدون نحو حجرة مكتبه ، إثر دوى الرصاصات ، عندما قاطع حامل المدفع الآلي (إيتان) ، قائلاً في غلظة :

- إنني لست مساعدك الحقير .

سيطلق رجاله النار على من أمامهم أولاً ..

وبعدها ينزع عن وجهه القناع ..

خطة لا يمكن أن تفشل ..

أو تمنح الخصم فرصة واحدة للإفلات ..

لذا ، فبمنتهى الحزم ، رفع يده بإشارة يحفظها رجاله جيدًا ..

وكان عليه أن يخفضها ..

فقط يخفضها ، لتنطلق الرصاصات ، وتحصد ذلك المجهول بلا رحمة ..

و ....

ولكن الرصاصات دوت فجأة ، في مكتب الجنرال (أيكون) ..

بمنتهى القوة ..

حتى قبل أن يخفض يده ..

ومع دويها ، ارتفع صوت صارم ، يقول بالعبرية :

ـ سأنسف رأس أول من يتحرك منكم .

استدار (إيتان) ورجاله في ذهول ، إلى الرجل الذي تراجع إلى الخلفية ، والذي خفض فوهة مدفعه الآلي نحوهم ، والدخان يتصاعد منها ، إثر الرصاصات التي أطلقها على السقف ، وهو يتابع بنفس الصرامة ، ونفس العبرية السليمة :

ـ وسيسعدني أن أبدأ بأعلاكم رتبة .

ارتجف الجنرال (أيكون) مع العبارة ، وحدق في الرجل بدوره ، وغمغم عندما رأى (إيتان) ورجاله يلقون أسلحتهم أمامه :

ـ أليس هذا ؟! أليس ...

قاطعه (إيتان) ، وهو يهتف في عصبية :

ـ (جوزيف) .. هل ..

كان وقع أقدام رجال الجنرال (أيكون) يعلو ، وهم يعدون نحو حجرة مكتبه ، إثر دوي الرصاصات ، عندما قاطع حامل المدفع الآلي (إيتان) ، قائلاً في غلظة :

ـ إنني لست مساعدك الحقير .

فجَّرت عبارته فيضاً من الذهول لا حد له ، فى حجرة المكتب ، وراح الكل ينقلون بصرهم بين (جوزيف) الزائف ، وذلك الذى ينتحل شخصية رجل المخابرات الإسرائيلى ، والذى انحنى يجذب الجنرال (أيكون) من أذنه ، كما لو كان طفلاً صغيراً ، وهو يقول فى سخرية :

ـ عزيزى الجنرال .. مر أوغادك بالبقاء خارج حوارنا الظريف هذا ؛ حتى لا يضطرونا لنسف رأسك القبيح ..

ارتجف (أيكون) هذه المرة ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، وهو يضغط زر جهاز الاتصال الداخلى ، صارخاً :

ـ هنا الجنرال (أيكون) .. قائدكم .. ابقوا خارج حجرة مكتبى .. أكرر .. ابقوا خارج الحجرة ، وإياكم أن تقتحموها ، دون أوامر مباشرة منى .

ثم انتابته حالة عصبية مباغتة ، جعلته يضيف :

ـ وأقسم أن أقتل بنفسى من يخالف هذه الأوامر منكم .

قبل أن تكتمل صرخته ، توقف وقع الأقدام المرتفع فى الخارج ، وتحول إلى حركة خافتة ، جعلت (إيتان) يقول فى توتر :

ـ ربما يتوقفون ، ولكنهم لن يسمحوا لكم بمغادرة هذا المكان أبداً .. إنهم محترفون ، وسيعملون فوراً على تطويق المكان ، وتأمينه ، ومحاصرته ، و ....

أجابه الرجل الذى ينتحل هيئته فى صرامة :

ـ لا داع لأن تشرح لنا إجراءات الأمن أيها الوغد ، فمن الواضح أننا نعرفها أكثر منكم ، وإلا ما نجحنا فى زرع أحدنا وسط رجالك ، تحسباً لموقف كهذا .

انعقد حاجبا (إيتان) فى شدة ، وراح عقله يدرس الموقف فى سرعة مدهشة ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ أنتم ثلاثة .. أليس كذلك ؟!

تجاهله الرجلان تماماً ، وانحنى منتحل شخصيته ، ليقول للجنرال (أيكون) ، فى مزيج عجيب من السخرية والصرامة :

ـ والآن يا وجه القرد .. تعاون معنا ، وقم بتقييد أولئك الإسرائيليين فى إحكام .

قالها ، وانتزع أحبال ستائر النافذتين ، وألقاها نحو الجنرال ، قبل أن يضيف :

ـ وسنقدر لك سرعة الأداء .

شعر (إيتان) بالغيظ يكاد يلتهم كيانه كله ، والجنرال يقيده بقوة إلى مقعد ثقيـل ، وتمنى فى أعماقه لو أن طاقم المبنى بالكفاءة اللازمة ، لمنع هذين الرجلين من الفرار ، كما راح يتساءل عن الوسيلة التى أعداها لهذا ، والتى تجعلهمـا يتصرفان على هذا النحو العجيب ..

فحامل المدفع الآلى أسند ظهره إلى الباب ، وخفض فوهـة مدفعه ، فى شىء من الاستهتار ، فى حين جلس الثانى على مقعد (أيكون) الدوار ، وراح يحركه فى هدوء واسترخاء ، كما لو كان يستمتع بكل ثانية من وقته ، أو كأن الوقت لا قيمة لـه ، والموقف أهدأ من إجازة سعيدة ، على جزيرة مهجورة ..

إنهما يدبران أمرًا ما حتمًا ..

أمر يثقان فى أنه سيخرجهما من هذا المكان ..

ودون أية خسائر ..

« لماذا فعلتما هذا ؟! »

انطلق السؤال من بين شفتيه بغتـة ، فى عصبية شديدة ، جعلت حامل المدفع يبتسم فى سخرية ، فى حين أدار الآخـر عينيه إليه فى بطء ، قبل أن يجيب فى برودة أقسى من الثلج :

- أردنا أن تعرف لماذا أنتم هنا !

بُهت (إيتان) للجواب ، واتسعت عيناه عن آخرهما لحظة ، نجح بعدها فى السيطرة على أعصابه فى براعة ، وهو يتساءل فى حذر :

- وهل عرفتما ؟!

كان الجنرال قد انتهى من تقييد الجميع ، وتراجع وهو يلهث ، ويتصبب عرقًا غزيرًا ، عندما خيل لرجل المخابرات الإسرائيلى أن عينى شبيهه قد التهبتا بنيران كالجحيم ، وهو يرمقه بنظرة حملت كل بغض الدنيا ، قبل أن ينهض من خلف مكتب الجنرال (أيكون) ، ويتجه نحوه فى بطء ، جعله يضيق فى عصبيـة شديدة ، ورأسه يتراجع ، كما لو أنه ينشد الفرار :

- لسنا نحن من احتل عراقكم .

مال شبيهه نحوه ، والتقت عيناهما ، وارتجف قلب (إيتان) ، وهو يحدق فيما بدا له أشبه بعينى أسد هصور ، وأذناه تلتقطان صوتًا تجمد له الدماء فى العروق ، يقول :

- ربما .. ولكنكم تسعون لأن ترثوه .. ولكن هيهـات .. لن يتأتى لكم البقاء على أرضه طويلاً .

كان صوته يرتجف ، ولكن الإسرائيلى تمتم :

ـ قلتم هذا منذ أكثر من نصف قرن .. ولكننا بقينا ..

أجابه الأسد الواقف أمامه ، بصوته الرهيب :

ـ ستبقون .. ولكن تحت الأرض ، وليس فوقها .

مع العبارة ، استيقظ عقل (إيتان) دفعة واحدة ..

وتذكر أين رأى تلك العينين من قبل ..

لم يكن قد التقى بصاحبهما من قبل قط ..

ولكنه شاهد عشرات الصور له ..

وفى كل صورة ، كان يتوقف دومًا عند العينين ..

عينيه ..

وبصوت حمل الذهول الدنيا كلها ، غمغم الإسرائيلى ، دون أن يرفع عينيه عن عينى شبيهه :

ـ إنه أنت !!

لم يكد ينطقها ، حتى تفجَّر فجأة ، فى المكان كله ، صوت قوى ، ينطلق عبر مكبر صوتى ، تحمله هليوكوبتر حربية أمريكية ، يهتف :

ـ هنا قوة الاقتحام الخاصة .. استسلموا أو نبدأ الهجوم فوراً .

وقبل حتى أن ينتهى الهتاف ، تحطم زجاج نافذتى الحجرة ، بعدد من قنابل الدخان ، التى تفجرت فى عنف ..

وانطلق الدخان يغمر المكان ..

وانحنى (أيكون) فى سرعة ..

وبدأ رجاله الهجوم ..

بمنتهى العنف ..

* * *

^RAYAHEEN^
www.liilas.com/vb3

٢- الأبطـــال..

« هربت ؟! »

صرخ مستر (x) بالعبارة ، فى غضب هادر ، كانت تهتز له تلك الشاشة المسطحة ، التى تحمل صورته ، وينطلق منها صوته المعدّل آليًا ، وإن اهتز له بالتأكيد جسد محاميه ، الذى بدا وكأنه قد فقد ثقته المعتادة دفعة واحدة ، وهو يجيب فى اضطراب :

- لست أدرى كيف فعلتها أيها الزعيم .. لقد كانت فى حراسة رجلين ، أقلهما حجمًا يفوقها بـ ....

قاطعه مستر (x) بنفس الغضب المتفجّر :

- رجلان فقط ؟! أرسلت إليها رجلين فقط ؟!

ارتبك المحامى أكثر ، وهو يقول :

- إنها مجرد امرأة ..

خُيّل إليه لحظتها أن ذلك الصمت ، الذى واجهته بـه صورة مستر (x) ، أقوى من صرخات الموت نفسها ..

وتجمدت الدماء فى عروقه ..

ودون أن يجرى ، وجد نفسه يتشبث بمقعده ، ويقول بكل اضطراب الدنيا :

- اطمئن أيها الزعيم .. سأتولى الأمر بنفسى ، و ....

كان يرغب فى تهدئة الأمر ، وإكمال عبارته بأسلوب دبلوماسى منمق ، إلا أن استمرار صمت مستر (x) الرهيب جعله يبتر قوله ، ويتشبث بمقعده أكثر ، فى حين واصل الزعيم صمته لبضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى بطء مخيف :

- أتعلم كم كلفنى فشلك هذا ؟!

حاول الرجل أن يزدرد لعابه ، إلا أن حلقه بدا جافًا للغاية ، مما جعل صوته يخرج متحشرجًا ، وهو يقول :

- إننا لم نفشل بعد .

تابع مستر (x) ، وكأنه لم يسمع تعليقه :

- رقم لم أدفعه مقابل حصولنا على تلك الرءوس النووية السوفيتية .. رقم من ستة أصفار .. ويقترب من خانة الأصفار السبعة .

مرة أخرى ، حاول المحامى تهدئة الموقف ، مغمغماً :

ـ إنها لا تزال داخل الحدود حتماً ، وبرشوة بسيطة لرجال الشرطة ، يمكننا أن ..

قاطعه مستر (x) فى صرامة ، قائلاً :

ـ دعنا نعترف معاً بأنك محام بارع ، يصعب تعويضه يا (دون مورو) ، ولكن من الوضح أنك مخطط فاشل ، ومتآمر أفشل ..

مرة ثانية عجز المحامى عن إزدراد لعابه ، وبدا له حلقه أشبه بصحراء جافة قاحلة ، وهو يتطلع فى يأس إلى صورة مستر (x) ، الذى تابع فى هدوء صارم مخيف :

ـ ومشكلتى أننى أدير منظمة خاصة ضخمة ، فى عالم لا يعرف الرحمة .. عالم ينتظر أن تغمض عينك فيه لحظة واحدة ، حتى ينقض عليك بلا رحمة ، ويلتهمك قبل أن يرتفع جفنك .

ارتجف صوت المحامى ، كما لم يرتجف من قبل ، وهو يقول :

ـ ما .. ما الذى يعنيه هذا يا مستر (x) ؟!

تجاهله مستر (x) تماماً ، وهو يتابع :

ـ وفى عالم كهذا ، أهم ما ينبغى أن تحرص عليه هو سمعتك ، وهيبتك .. لا يحق لك أن تتنازل عنهما أبداً ، مهما كان الثمن ، ومهما كانت التضحيات .

كرر المحامى ، وهو يوشك على الانهيار :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

ومرة أخرى ، تابع مستر (X) :

ـ العثور على محام آخر ، سيكون عملية شديدة الصعوبة ، وقد تستغرق وقتاً طويلاً .

بدا للمحامى أن الأمل يكمن فى تلك العبارة ، فهتف ضارعاً :

ـ سأخدمك بكل إخلاص .. سأتفانى فى خدمتك .. بل إننى سأخفض أتعابى إلى النصف .. بل إلى الربع .. هل تدرك كم سيوفر لك هذا سنوياً ..

أجابه مستر (X) ، فى برود صارم مخيف :

ـ والسمعة الضائعة .. والهيبة المفقودة .. من سيعوضهما ؟!

بدا ذلك أشبه بالنطق بالحكم ، فانهار المحامى عندئذ تمامًا ، وهو يقول :

ـ الرحمة أيها الزعيم .. الرحمة .

تراجع مستر (X) فى مقعده ، وهو يقول :

ـ الرحمة شىء ، والتهاون شىء آخر يا عزيزى (دون مورو) .. فلو تهاونت مع فاشل واحد ، فسيشجع هذا آخر على الفشل ، وبعدها سيأتى فاشل ثالث .. ورابع .. وخامس .. وقبل مرور ثلاثة أشهر ، تكون المنظمة الكبيرة كلها قد انهارت ، وسقطت فريسة لمنظمة أخرى ، تقضم فى يسر ، كل ما حققناه فى سنوات طوال .

ثم مال إلى الأمام ، مضيفًا بنفس البطء :

ـ وباعتبارك محامىّ الخاص ، هل تنصحنى ، فى حالة كهذه ، بالتهاون ؟!

امتقع وجه المحامى ، وصار أشبه بورقة بيضاء ، وهو يغوص فى مقعده بضع لحظات ، قبل أن يعتدل فجأة ، ويهب منه ، ثم يندفع نحو الباب ، محاولاً الخروج من حجرة الاتصال بأى ثمن ..

وفى هدوء عجيب ، جلس مستر (X) على مقعده يراقبه ، وهو يحاول عبثًا فتح الباب ، ثم ينتقل إلى الطرق عليه بقبضتيه فى قوة ، ثم ركله فى شراسة يائس ، قبل أن ينهار إلى جواره ، قائلاً للمرة الأخيرة :

ـ الرحمة .

وهنا قال مستر (X) فى صرامة :

ـ لقد أردتها ..

ومع قوله ، ضغط زرًّا أمامه ..

ومع ضغطة الزر ، سرى تيار كهربى قوى ، فى أرضية حجرة الاتصالات ..

وانتفض جسد المحامى ..

انتفض ..

وانتفض ..

وانتفض ..

ثم خمدت حركته تمامًا ..

ومع خمودها ، ضغط مستر (X) زرًّا آخر أمامه ، وقال فى صرامة :

- أريد استعادة تلك الصينية الخطيرة فى قبضتنا .. وبأى ثمن ..

نطقها وهو يعنى كل حرف منها تماماً ..

ففى حالة كهذه ، لا يهم أبداً ما الثمن ..

بل ولا يهم حتى أن تتم صفقة رجال المخابرات المصرية فى (كولومبيا) ..

المهم هو سمعة منظمته ..

وهيبتها ..

وقوتها ..

* * *

تألقت عينا مدير المخابرات المصرية فى قوة ، وهو يتراجع فى مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، سائلاً معاونه الأول بكل الاهتمام :

- هل يمكنك أن تعيد على مسامعى ما قلته مرة أخرى ؟!

أشار معاونه إلى التقرير ، الذى نقل منه قوله :

- كان الموقف متأزماً تماماً ، فى مكتب الجنرال (أيكون) ، ووصلت هليوكوبتر خاصة ، ألقت قنابل الدخان داخل المكتب ، بعد أن أعطت أوامر لرجال الأمن بالاقتحام .

ابتسم المدير ، وهو يقول :

- وكان من الطبيعى أن ينفذوا الأوامر .

أجابه معاونه :

- لم يكن أمامهم سوى هذا ، فعلى الرغم من أن (أيكون) شخصياً قد أمرهم بعدم الاقتحام ، إلا أن نظام مكافحة الإرهاب ، يحتم عليهم طاعة أوامر فرقة الطوارئ ، والتى تجب أية أوامر أخرى ، فى الحالات الخاصة ، ولما كانوا قد تلقوا شفرة التأمين ، فقد نفذوا الأمر ، واقتحموا حجرة المكتب ، التى كان الدخان يغمرها .

التقط المدير نفساً عميقاً ، وابتسم متسائلاً :

- ثم ؟!

تابع معاونه :

- ثم لم يجدوا داخلها سوى (أيكون) ، ورجل المخابرات الإسرائيلى ورجاله ، أما الآخران ، اللذان نفذوا تلك العملية بالغة الجرأة ، فقد استغلا ستار الدخان الكثيف ، وقفزا عبر النافذة إلى الهليوكوبتر ، التى كان يقودها زميل ثالث لهما ،

استولى عليها قبلها بنصف الساعة فقط ، منتحلاً شخصية قائد فرقة الطوارئ ، وانطلقت مبتعدة بثلاثتهم إلى منطقة مجهولة ، ولم يتم العثور عليها حتى الآن .

أومأ مدير المخابرات المصرية برأسه فى ارتياح ، واتسعت ابتسامته قليلاً ، قبل أن يطلق زفرة ارتياح ، مغمغمًا :

ـ إنه هو .

تردد معاونه لحظة ، قبل أن يقول فى حذر :

ـ سيادة الوزير .. التقرير الذى ورد إلينا مؤخرًا ، يؤكد أن سيادة العميد (أدهم) قد ...

قاطعه المدير بإشارة من يده ، وهو ينهض من خلف مكتبه ، قائلاً فى حزم :

ـ التقرير الأمريكى يقول إنهم قد عثروا على بقايا تحمل البصمة الجينية لرجلنا ، فى منطقة بدأ عندها انفجار جزيرة الزعيمة ، ومن معرفتى بـ (ن ـ ١) ، أدرك جيدًا أنه قد قاتل كالأسود ، قبل أن يبلغ تلك النقطة ، وقتال كهذا ستحدث فيه إصابات عديدة حتمًا من الجانبين .. بعضها سيحمل دون شك خلايا (ن ـ ١) ، وبصمته الجينية .

انعقد حاجبا المعاون فى شدة ، وهو يدرس هذا الاحتمال فى ذهنه ، قبل أن يقول :

ـ ولكن لماذا تتصور أن سيادة العميد (أدهم) ، بين منفذى تلك العمليات الجريئة فى (العراق) ياسيادة الوزير ؟! إنهم ثلاثة رجال دومًا ، ولدينا بالفعل ثلاثة رجال مخابرات عرب ، متغيبين عن إداراتهم منذ فترة ليست بالقصيرة .. السورى (أكرم كيلانى) ، والأردنى (وجيه الهاشمى) ، والمغربى (محمد بن على) ، وثلاثتهم من تلامذة العميد (أدهم) ، الذين شهد لهم بالكفاءة والقدرة ، ومن الممكن أن يكونوا قد تشاركوا فى كل العمليات السابقة .

شد المدير قامته ، قائلاً :

ـ لقد فكرت فى هذا الاحتمال أيضًا ، وقمت شخصيًا بدراسة ملفات الثلاثة ، ووجدت أنهم قادرون بالفعل على القيام بكل جرىء وباسل ، وأن مهاراتهم ، التى صقلتها تدريباتهم مع رجلنا ، تجعلهم على درجة عالية من القدرة والكفاءة .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

- إلا أنه ينقصهم أمر واحد .

تساءل معاونه الأول فى اهتمام :

- وما هو ؟!

أشار المدير بسبابته ، قائلاً :

- الأسلوب .

اعتدل المعاون فى انتباه ، فى حين تابع المدير بكل حزم :

- إنك تستطيع أن تلقن شخصًا ما كل ما تعرفه ، وأن تسبغ عليه من خبراتك ومهاراتك ، ولكنك لاتستطيع أبدًا أن تعطيه بصمتك ، أو تجعل منه نسخة طبق الأصل منك ؛ لأن لكل مخلوق ذاته ، وأفكاره ، وأساليبه ، التى تخلق منه حالة خاصة جدًا ، لاتتشابه مع أية حالة أخرى .

ثم توقف لالتقاط أنفاسه فى عمق ، قبل أن يضيف فى حسم :

- وتلك العمليات تحمل بصمة ، لا يمكن أن أخطئها أبدًا ، حتى وإن أتوا بألف دليل ودليل ، على عكس هذا .

وعادت عيناه تتألقان ، وهو يقول بمنتهى الاعتزاز :

- بصمة (ن - ١) .

* * *

« كـلا .. »

هتف رجل المخابرات الإسرائيلى (إيتان كوهين) بالكلمة ، فى غضب هادر عنيف ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، داخل حجرة مكتب الجنرال (أيكون) ، الذى انعقد حاجباه الكثان ، وهو يزمجر قائلاً :

- ماذا تعنى بكلمة كلا هذه ؟!

مال (إيتان) إلى الأمام قليلاً ، وهو يقول فى صرامة :

- أعنى أنه لايمكن أن يتكرر ماحدث مرة أخرى .. لايمكن أن نسمح لذلك المصرى بخداعنا مرة أخرى لا بد وأن نتخذ كافة التدابير والاحتياطات ، حتى لانصبح أضحوكة الجميع هنا .

صاح به (أيكون) فى غضب .

- أية تدابير ، وأية احتياطات ؟! ألم نتخذ دومًا كل ما تصورناه من تدابير واحتياطات ، ثم لم يفلح هذا كله فى منع الأمر من

أن يتطور أكثر وأكثر ، ومن أن تتضاعف جرأتهم وانتصاراتهم في كل مرة .

رمقه (إيتان) بأكثر نظرات الدنيا بغضًا ومقتًا ، وهو يعتدل ، قائلاً بلهجة حملت حقيقة مشاعره :

ـ عجبًا ! أهـذا الأسـد الهصور أمامى ، وهو نفسه ذلـك الذى كان يرتجف كالفأر المذعور ، بالأمس فقط ؟!

احتقن وجه الجنرال (أيكون) ، وانعقد حاجباه الكثّان فى شدة ، حتى كادا يحجبان عينيه الضيقتين ، وهـو يعتدل فى بطء ، انتفخ معه صدره القوى ، وهو يقول :

ـ هل انتهت مهمتك هنا أيها الإسرائيلى ؟!

سأله (إيتان) فى عصبية :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه فى صرامة قاسية :

ـ أعنى أنك ورجالك قد أتيتم إلى هنا فى مهمة محدودة ، ألا وهى الحصول على قطعة أرض ، لبناء مقر لـ (الموسـاد) ، فى قلب (العراق) . ولقد تعاونت معكم مخلصاً ، وفقًا لما تلقيته

من أوامر ، مـن قيادتى فى الولايات المتحدة الأمريكية ، حتـى وقع اختياركم على تلك البقعة ، بين (بغداد) و (يعقوبـة) ، وهنا تنتهى أوامرى ، وتنتهى مهمتكم أيضًا .

بدا (إيتان) أكثر عصبية ، وهو يقول :

ـ لم أفهم بعد ، ما الذى يعنيه هذا ؟!

بدا صوت (أيكون) جهوريًا قاسيًا ، وهو يقول :

ـ يعنى أننى لم أعد مضطرًا للتعاون معكم .. هنـا تنتهى أوامرنا الرسمية ، وأرجو ألا أراكم بعد اليوم فى مكتبى ، حتى ولو كان مصير العالم كله يتوقف على هذا .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، مضيفًا بكل صرامة وبغض الدنيا :

ـ وداعًا يا سيدى (كوهين) .. أتعستنى كثيرًا معرفتى بك .

ازداد انعقاد حاجبى (إيتان) فى غضب هادر ، وهم بقول شىء ما ..

ومن الواضح أنه كان شيئًا بغيضًا ؛ لأنه بتره فى أعماقه ، قبل أن يتجاوز شفتيه ، وقال فى شىء من الحزم :

ـ إننا لم نتسلم قطعة أرضنا بعد .

هزّ (أيكون) كتفيه القويين، وهو يقول بنفس البغض والصرامة:

- هذه أمور إدارية، يمكنك مناقشتها مع أى سيرجنت فى فريقى.

ثم شد قامته، مضيفاً فى خشونة مقيتة:

- وداعاً يا سيد (كوهين).. لقد انتهت المقابلة.. إلى الأبد.

رمقه (إيتان) بنظرة صامتة طويلة، قبل أن يقول فى حزم:

- سنلتقى.

ثم غادر المكتب، وصفق الباب خلفه..

بكل القوة..

والحنق..

والغضب..

* * *

انتفض جسد مستشارة الأمن القومى الأمريكية، فى غضب عصبى شديد، على الرغم من تواجدها داخل حجرة المكتب البيضاوى لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وهى تقول:

- أى عبث أخرق هذا؟! كيف يرفض مدير مخابراتنا تنفيذ أمر مباشر منا؟!

حاول وزير الدفاع الأمريكى تهدئتها، وهو يقول:

- الرجل لم يرفض، ولكنه أبدى اعتراضه على الفكرة، وما يمكن أن تجره على الولايات المتحدة من تداعيات أمنية خطيرة.

صاحت فى حدة:

- أية تداعيات؟! إننا نتحدث عن عصابات مخدرات، تمارس نشاطاتها فى أدغال (كولومبيا)، لتؤذى أطفالنا وشبابنا و...

قاطعها الرئيس بزمجرة محنقة:

- لا داعى لهذه المحاضرة.. كلنا هنا نعلم أن هذا ليس هدفنا الحقيقى.. ادخرى كلماتك الأنيقة للصحافة فيما بعد..

مطّت شفتيها الغليظتين فى حنق ، فى حين عدّل وزير الدفاع منظاره على عينيه ، وهو يقول متوترًا :

ـ الواقع أن تلك الحرب لن تقتصر على أحراش (كولومبيا) ، كما تتصورُ مستشارة الأمن القومى ، فالكولومبيون لن يتورعوا عن شن حرب أكثر عنفًا ، فى قلب شوارعنا هنا .. إنهم منتشرون بأعداد كبيرة فى كل مكان ، والتقارير الأمنية تقول : ـ إن تسليحهم أقرب إلى تسليح جيش كامل ، لايمكننا حصره أو تحديد أماكن تمركزه ، مما يعنى أننا بحربنا هذه ، يمكن أن ننقل صورة للمقاومة العراقية ، إلى قلب (أمريكا) ..

لوّحت بقبضتها ، صائحة فى غطرسة :

ـ سنسحق تلك المقاومة ، كما ...

قاطعها الرئيس الأمريكى عندئذ فى حدة :

ـ كفى .

بترت عبارتها فى سخط ، فى حين نهض هو من خلف مكتبه ، قائلاً فى توتر واضح :

ـ ستخرج الأمور عن سيطرتنا بأسلوبك السخيف هذا ..

زمجرت ، قائلة :

ـ الأمور خرجت عن سيطرتنا بالفعل .

صاح بها :

ـ دعينا نحاول استعادتها إذن ..

أشاحت بوجهها فى حنق ، وهو يتابع فى توتر :

ـ ذلك الحقير مستر (X) يحاول دفعنا إلى ما يحقق مصالحه ، بغض النظر عن مصالحنا ، ويطالبنا بشن حرب سخيفة ، فى دولة أخرى ، فى وقت نعانى فيه الأمرين ، فى (أفغانستان) و(العراق) ، ويعانى فيه اقتصادنا من خلل شديد ، مع كل ما نستهلكه من أسلحة ونخائر طوال الوقت ، ونحن عاجزون عن مواجهته ، لأنه يملك ما يديننا جميعًا ؛ لذا فعلينا أن ندير اللعبة بشكل مختلف تمامًا ، لو أردنا تجاوز كل هذا .

أعادت مستشارة الأمن القومى نظرها إليه ، وقد أدهشها أن يبدو مرتبًا على هذا النحو ، فى حين تابعه وزير الدفاع فى اهتمام ، وهو يواصل :

- لن نشغل مدير مخابراتنا الجديد إذن بأمور القتال والحروب ، ولنسعى لاستغلاله فيما هو مؤهل له .

تساءل وزير الدفاع فى اهتمام :

- وما هو ؟!

أدار الرئيس الأمريكى عينيه إليه ، مجيبًا :

- البحث عن مستر (X) .

انعقد حاجبا وزير الدفاع ، وبدا التوتر على وجه مستشارة الأمن القومى ، وهى تقول فى عصبية :

- إننى أفضل شن تلك الحرب الكولومبية .

هتف بها الرئيس ، فى عصبية أكثر :

- تلك الزعيمة الغامضة أمكنها التوصل إليه من قبل ، فلا تحاولا إقناعى أن مخابراتنا ، بكل سمعتها ، لا يمكنها التوصل إليه .

قال وزير الدفاع فى توتر :

- المشكلة أن جاسوسًا واحدًا بين صفوفنا ، ينقل إليه فكرة بحثنا عنه ، يكفى لأن نواجه حربًا لا قبل لنا بها .

غمغمت مستشارة الأمن القومى فى حنق :

- وما أكثرهم هذه الأيام .

انتفض جسد الرئيس فى عنف ، وهو يصرخ :

- لست أنشد رأيكما .

حدقا فيه بدهشة بالغة ، فعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً :

- سأصدر أوامرى للمخابرات ، ببدء عملية البحث عن مستر (X) ، وعليك أنت يا وزير الدفاع ، أن ترتب عملية انتحارية محدودة ، للهجوم على ذلك الـ (لاماس) ، فى قلب أحراش (كولومبيا) .

ثم شد قامته ، مضيفًا فى عصبية :

- أريد لهذه الغمة أن تنزاح .. وفى أسرع وقت ممكن .. هل فهمتما ؟! فى أسرع وقت ممكن .

ولم ينطق أحدهما باعتراض واحد ..

أو حتى بكلمة واحدة ..

على الإطلاق ..

* * *

« عملية كوماندوز مدروسة .. »

نطق الجنرال (أيكون) العبارة ، وفي صرامة شديدة ، وهو يجلس مع ضباطه الذين تبادلوا نظرة قلقة ، قبل أن يقول أحدهم :

ـ معذرة يا جنرال ، ولكننا أسرفنا كثيرًا في العمليات العسكرية العنيفة ، في الآونة الأخيرة ، وأخشى أن هذا يستنزفنا كثيرًا ، دون أن نحقق تقدمًا كبيرًا ، تجاه العراقيين .

شد (أيكون) قامته ، قائلاً في صرامة أكثر :

ـ العملية هذه المرة ليست موجهة إلى المقاومة .

تبادل الرجال نظرة متوترة ، وقد أدهشهم أن استخدم مصطلح المقاومة هذا لأول مرة ، وسأله أحدهم مترددًا :

ـ لمن إذن ؟!

انعقد حاجبا (أيكون) الكثان ، وبدا شديد العصبية ، وهو يجيب :

ـ لخصومنا .

كان المصطلح عامًا ، لايمكن في الأحوال العادية أن يشف عن أمر بالتحديد ، إلا أنهم قد فهموا جميعًا ما يعنيه ، فاعتدلوا في مقاعدهم ، واستمعوا جيدًا إلى الجنرال ، وهو يقول متابعًا :

ـ لقد أجريت الكثير من التحريات ، خلال اليومين السابقين ، ولجأت إلى الأسلوب ، الذي لايفشل أبدًا .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يميل نحوهم ، مضيفًا بلهجة خاصة :

ـ المال .

أومئوا جميعًا برءوسهم متفهمين ، فاعتدل متابعًا ، في شيء من الزهو :

ـ وببضعة آلاف من الدولارات ، جمع رجالي كمًا من المعلومات ، تشير إلى أن خصومنا يختفون دائمًا في تلك البقعة .

قالها ، وهو يستدير ؛ ليرسم دائرة حول منطقة بعينها ، من مدينة (الفالوجا) ، قبل أن يضيف في انفعال :

- كل الخيوط كانت تنتهى هنا .. إنهم يظهرون فى أى مكان ، ثم يختفون دوماً هنا .

وعاد يستدير إلى رجاله ، وعيناه تتألقان بشدة ، مضيفاً :

- لذا ، فسنضرب ضربتنا هنا .

سأله أحدهم فى اهتمام :

- وما كم القوات ، التى تتوقع مشاركتها فى عملية كهذه يا جنرال ؟!

فرد ورقة أمامهم ، تحوى قائمة بالقوات والمعدات ، فاتسعت عيونهم فى دهشة مستنكرة ، وهتف أحدهم :

- رباه ! هذا يكفى لشن حرب طاحنة يا جنرال ، وليس عملية كوماندوز محدودة .

زمجر الجنرال ، قائلاً :

- إنها عملية كوماندوز مدروسة ، وليست محدودة .

هتف آخر :

- ولكن هذا كفيل بهدم المنطقة كلها ..

شد الجنرال قامته فى صرامة ، مجيباً :

- سنفعل ، لو اقتضى الأمر .

تبادل الرجال نظرة أخرى ، قبل أن يقول أحدهم :

- وكيف سيمكننا تبرير هذه العملية للمراقبين الدوليين ؟!

هزّ الجنرال كتفيه ، قائلاً :

- إننا نواجه مقاومة عراقية شرسة وعنيفة ، فى الآونة الأخيرة ، و ....

قاطعه أحد الرجال فى توتر ، على الرغم من مجافاة هذا للقواعد العسكرية :

- إننا نواجه تلك المقاومة طوال الوقت يا جنرال ، وهذا لن يبدو مبرّراً كافياً .

عاد حاجبا الجنرال ينعقدان فى صرامة ، فقال آخر :

- لم يستجد جديد ، لإيجاد أى منطق مختلف ، أو ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، عندما لاحظ تألق عينى الجنرال ، وتراجع فى مقعده متسائلاً ، فى حين شد الجنرال قامته أكثر وأكثر ، وهو يقول بصوت مخيف :

- وماذا إن جد جديد ؟!

ولم يجب أحدهم سؤاله قط ..

فالواضح أن الجواب كان يعنى الكثير ..

والكثير جدًا ..

* * *

تراجعت (لوتشيا) ، عشيقة (باولو لاماس) فى خفة ، بعد أن أعدت أحد الفخاخ المتفجرة ، حول ثكنات هذا الأخيرة ، ثم استندت بظهرها إلى جذع شجرة بدائية قديمة ، وأشعلت سيجارتها ، قبل أن تمسك مدفعها الآلى ، قائلاً :

ـ لو حاول اليانكى(*) الهجوم ، كما تقول المعلومات التى وصلتك يا (باولو) ، فسيتحولون إلى رماد ، قبل أن يبلغوا نصف المسافة .

زمجر (باولو) فى وحشية ، وأشعل سيجارته بدوره ، وهو يقول :

ـ لو أقدموا على تلك الحماقة ، أريد إبادتهم بالكامل ؛ حتى يكون هذا درسًا قاسيًا لهم ، يعلمهم ألا يدسوا أنفسهم فى شئون (باولو لاماس) أبدًا .

(*) اليانكى : مصطلح تستخدمه بعض دول (أمريكا اللاتينية) ، عند وصف الأمريكيين .

نفثت دخان سيجارتها فى استمتاع ، قبل أن تقول :

ـ ربما كانت المعلومة خاطئة .

هز رأسه نفيًا فى قوة ، قائلاً :

ـ مصادرى لا تخطئ أبدًا .

اعتدلت ، وسحبت نفسًا عميقًا من سيجارتها ، قبل أن تتساءل فى شىء من الجذل :

ـ أتعنى أنهم قد يهاجمون فعلاً ؟!

مط شفتيه ، قائلاً :

ـ لو أنهم حمقى .

اتسعت ابتسامتها ، كما لو أنه يخبرها بأمر مفرح ، وتثاءبت فى شىء من الاستمتاع ، قائلة :

ـ أخيرًا .. سنمارس بعض النشاط .

رمقها بنظرة جانبية مستنكرة ، واستند بمرفقه إلى جذع الشجرة ، وبدا شاردًا بعض الوقت ، وهو ينفث دخان سيجارته ، فأسبلت جفنيها تسأله :

ـ فيم تفكر ؟!

جاوبها صمته بعض الوقت ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ لم تظنينهم يأتون ؟!

هزت كتفيها ، وابتسمت ، قائلة :

ـ من أجل ما نفعله بهم !

هز رأسه نفيًا فى بطء ، ونفث دخان سيجارته مرة أخرى ، فى بطء شديد ، قبل أن يقول :

ـ إننا نفعله بهم منذ زمن طويل ، وهم يكتفون دومًا بمكافحتنا على أرضهم .

قالت فى هدوء :

ـ ربما قرروا الانتقال إلى مرحلة أعلى .

هز رأسه نفيًا مرة أخرى ، وقال :

ـ كلا .. ليس هذا هو السبب .

نهضت واقفة ، مستندًا إلى مدفعها ، وهى تسأله فى اهتمام :

ـ لماذا أتوا فى رأيك إذن ؟!

التقى حاجباه مرة أخرى ، وأدار رأسه فى بطء ، يتطلع إلى مبنى فى منتصف ثكناته ، وهو يجيب فى مقت :

ـ من أجلهم .

التقى حاجباها بدورها ، وهى تكرر :

ـ من أجلهم ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم .. هذا هو التغيير الوحيد ، الذى حدث هنا ..

ازداد انعقاد حاجبيها ، وهى ترمق ذلك المبنى الصغير فى مقت ، قبل أن ترفع فوهة مدفعها الآلى بحركة حادة ، وتجذب إبرة المدفع فى صرامة ، قائلة :

ـ لماذا نحتفظ بهم إذن ؟!

استوقفها فى خشونة :

ـ لأننا تعهدنا بهذا .

قالت فى حدة ، محاولة الاندفاع نحو ذلك المبنى :

ـ لا تعهدات ، عندما يأتى معها الخطر .

انطلقت من حلقه زمجرة غاضبة وحشية ، قبل أن يقول بصوت هادر مخيف :

ـ (باولو لاماس) يفى بتعهداته دومًا ، ولن يتغير هذا أبدًا .

بدا عليها الغضب ، وهى تهتف :

ـ كنت على حق إذن .. أنت واقع فى غرام تلك الصينية الحسناء .. إنك تحافظ عليهم من أجلها ، ومن ....

قاطعها بصرخة وحشية هادرة :

ـ إننى أفعل هذا من أجلى .

تكمشت أمامه فى خوف ، فشد قامته ، ليبدو كمارد خرافى ضخم ، وهو يكمل :

ـ وأفعل هذا بمقدار ما يمكننى الإفادة منه .

ثم ألقى سيجارته أرضًا ، وسحقها بقدمه فى قوة ، مضيفًا :

ـ أما لو تأكدت من أن الأمريكيين قد أتوا من أجلهم ، فسأصنع من أجساد أربعتهم دروعًا لنا ، تتلقى موجة الهجوم الأولى .

وعندئذ فقط ، استعادت (لوتشيا) هدوءها وابتسامتها ..

فما قاله أخيرًا كان يروق لها ..

تمامًا .

* * *

^RAYAHEEN^
www.liilas.com/vb3

٣ـ اغتيـــال ..

تحرك موكب ذلك الزعيم الدينى العراقى فى سرعة متوسطة نسبيًا ، وسط مدينة (الفالوجا) ، فى تلك الفترة التى توقفت فيها الاشتباكات ، وهدأت النيران ..

كان مؤيدو الزعيم ومريدوه يحيطون بالموكب ، لحماية زعيمهم بأجسادهم ، من أى هجوم أمريكى غادر ، وهم يحاولون قطع المسافة ، التى تفصلهم عن مقره ، فى أسرع وقت ممكن ، تفاديًا لأية مشكلات ، قد تنشأ مع الخصوم ، أو مع المحتلين ..

وعلى عكس المعتاد ، خيم على المنطقة كلها هدوء عجيب ..

هدوء تام ..

شامل ..

مهيب ..

ومن خلف النوافذ ، أطلت رءوس المدنيين ، الذين يتابعون الموقف ، ويرصدونه ، و ....

وفجأة ! دوى ذلك الانفجار الرهيب ..

كان الموكب يعبر إلى جوار رتل من السيارات المتوقفة ، عندما انفجرت إحداها دون مقدمات ..

وكان الانفجار رهيبًا ..

رهيبًا للغاية ..

كتلة هائلة من النيران وثبت إلى السماء ..

دماء تناثرت فى كل صوب ..

أشلاء تمزقت بلا رحمة ..

جدران تهدمت ..

وساد هرج ومرج ، و ....

ولقى الزعيم الدينى مصرعه ..

وفور الانتباه إلى هذا ، دوى انفجار آخر ..

صيحة غضب هائلة ، تفجّرت من حلوق مؤيدى الزعيم الدينى ، الذين ارتفعت فوهات أسلحتهم ، لتنطلق رصاصاتهم فى عنان السماء ..

وتحولت المنطقة كلها فجأة إلى بركان ..

بركان ثائر ، تفجرت منه حمم الغضب ، لتلتهم كل شيء ..

وأى شيء ..

بلا رحمة ..

* * *

دق الجنـرال (أيكون) سـطح مائدة الاجتماعات بقبضته فى قوة ، وهو يقول لضباطه الملتفين حولها :

ـ الآن صار لدينا المبرر أيها السادة .. سنضرب ضربتنا فجر الغد .

هتف أحدهم فى دهشة :

ـ بهذه السرعة !

تألقت عينا الجنرال ، وهو يعتدل ، قائلاً :

ـ لا يمكننا أن نسكت ، بعد أن فعلوا هذا .

ثم رفع سبابته ، مضيفًا فى حزم :

ـ خاصة وأننا قد أتينا من أجل حرية ورفاهية الشعب العراقى .

تبادل الرجال نظرة ، حملت لمحة ساخرة خفية ، قبل أن يقول أحدهم :

ـ فليكن يا جنرال ، وواضح أنه لا فائدة من مناقشة الأمر ، ولنبدأ إذن بمناقشة خطة الهجوم .

قبل حتى أن يتم عبارته ، كان الجنرال يقول :

ـ ستبدأ الهجوم بطائرات الأباتشى .. ست طائرات كاملة التسليح ، ستهاجم من ثلاثة محاور ، وستمطر المنطقة كلها بقذائفها ، مع لحظات الفجر الأول ، وعلى نحو مباغت تمامًا ، بحيث لا تمنح أحدًا فرصة الفرار ، أو اتخاذ أية احتياطات ، ومع القصف العنيف ، ستبدأ وحدات الكوماندوز فى الهجوم ، من خمسة محاور مختلفة ، فى حين ستقوم وحدة من المدرعات بمحاصرة المنطقة .

قال أحد الضباط فى اهتمام :

ـ سنحرص على أن تتضمن أوامرهم السماح للأطفال والنساء فحسب بالخروج ، و ....

قاطعه الجنرال بزمجرة خشنة :

ـ لا أحد سيخرج من المنطقة .

بهت الضباط لقوله ، وغمغم أحدهم مذعورًا :

ـ حتى النساء والأطفال !

احمرت عينا الجنرال، وهو يميل نحوه، قائلاً بمنتهى الصرامة:

- لا أحد سيغادر المنطقة كلها حياً؛ فمع الثعالب التي نواجهها، قد يكون خروج طفل صغير هو طرف الخيط، لفرار خصومنا جميعهم.. لهذا لن نبقي على أحد.

سرى توتر شديد في أجساد الضباط، الذين بدت لهم عمليتهم أشبه بمذبحة رهيبة، أو بمجزرة من مجازر التتار القدامى(*)، وراحوا يتبادلون نظرة عصبية، والجنرال يتابع بانفعاله العجيب:

- ولأن خصومنا بارعون في التقمص، فالخطة كلها سيتم وضعها دفعة واحدة، دون أي تغيير أو تبديل، مراحلها كلها، حتى لو صدرت أوامر فرعية بهذا.. سنحدد المراحل كلها، ويلتزم بها الكل، وسيتم إيقاف كل الاتصالات، بكافة أنواعها، مع بدء المرحلة الأولى، بحيث تسير العملية كلها في آلية تامة.

قال أحد الضباط معترضاً:

(*) التتار: اسم علم، يطلق على شعوب اكتسحت أجزاء من (آسيا) و(أوروبا)، بزعامة المغول، في القرن الثالث عشر، ويرجح أن التتار الأصليين جاءوا من شرق ووسط (آسيا)، أو من وسط (سيبيريا)، وقد سيطروا على (روسيا)، بعد انحسار موجاتهم الوحشية.

- انعدام الاتصالات خلال القتال، أمر يضعفنا كثيراً يا سيدي، فتطورات الأمور قد تستلزم إحداث تغيرات حتمية، في مجرى سير الأمور.

أشار الجنرال بسبابته، قائلاً:

- هذا بالضبط ما أريد تفاديه هذه المرة، فالخصوم قد ينجحون في الاستيلاء على وحدة اتصالات، وبقدرتهم المدهشة على التقمص، يصدرون بعض الأوامر المربكة لقيادات الهجوم.

تبادل الضباط نظرة أخرى متوترة، وغمغم أحدهم:

- لن تكون المواجهة سهلة والحال هكذا.

قال الجنرال في شراسة:

- لا أريدها سهلة.

ثم شد قامته، مضيفاً:

- أريدها ساحقة.

نطقها ، وعيناه تتألقان على نحو عجيب ..

نحو يوحى بأنه لا يسعى للإيقاع بخصومه فحسب ..

ولكن إلى الثأر ..

الثأر الشخصى ..

والوحشى ..

* * *

على الرغم من الضخامة والقوة ، اللذين بدوا واضحين ، على ذلك الرجل ، الذى يجلس داخل حجرة الاتصالات المؤمنة ، إلا أنه بدا أشبه بفأر مرتجف مذعور ، وهو يواجه تلك الشاشة المسطحة الكبيرة ، التى تحمل صورة مستر (X) ، الذى يقول فى شراسة :

ـ ماذا تعنى بأنكم تعجزون عن إيجادها ؟! المفترض أنك أقوى رجال العصابات ، فى (ريودى جانيرو) ، ولديك جيش هائل من المعاونين ، وهى مجرد امرأة ، لم تتجاوز الحدود بعد ، فكيف تفلت منكم ؟!

قلب الضخم كفيه فى حيرة ، وهو يقول :

ـ لست أدرى كيف حدث هذا أيها الزعيم ! لقد نبشنا المدينة كلها ، وأطلقنا عيوننا فى كل مكان ، و ....

قاطعه مستر (X) ، فى صرامة قاسية :

ـ لا أريد أعذارًا أو تبريرات .. أريد نتائج إيجابية فقط .. أنت تعرف كم أمقت الفشل .

استعاد ذهن الضخم مشهد المحامى الصريع ، الذى احترقت أطرافه ، وشعر بقشعريرة باردة تسرى فى كيانه ، وهو يقول :

ـ لا فشل أيها الزعيم .. إنها مسألة وقت فحسب .

زمجر مستر (X) ، قائلاً :

ـ الوقت أيضًا له ثمنه يا هذا .

غمغم الرجل فى توتر :

ـ أعلم هذا أيها الزعيم .. أعلم هذا .

كان يهم بإضافة شىء ما ، لولا أن استوقفه مستر (X) فجأة :

ـ اصمت يا هذا .

كانت تلك الأجهزة الدقيقة ، التى أحاط بها حجرات اتصالاتـه المؤمّنة ، قد نقلت إليه إشارة ما ..

إشارة توحى بأن هنـاك شخصًا ما ، يتسلّل إلى حجـرة اتصالاته ..

المؤمّنة ..

نطق مستر (X) الكلمـة بمنتهى الصرامة ، وهو يشير إلـى المدفأة الكبيرة ، فى ركن الحجرة ، فاستل رجل العصابات الضخم مسدسه بحركة آلية ، وهبّ من مقعده ، متجهًـا إليهـا ، والأجهزة تشير إلى أن ذلك الشخص يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وتحفّزت حواس رجل العصابات ..

وتوترت سبابته على زناد مسدسه ..

و ....

وفجأة ! هبط ذلك الجسم من المدفأة ..

هبط مرتطمًا بقاعها ، على نحو مباغت ، لم يمنح ذلك الضخم فرصة التفكير ، وإنما أدار فوهة مسدسه فى سرعة ، وراح يطلق النار ..

ويطلق ..

ويطلق ..

ست رصاصات ، أطلقها كلها نحو ذلك الجسم ، قبل أن ينتبه فجأة إلى أنه مجرد وسادة قديمة ، حوّلتها رصاصاته إلى قطع متناثرة من الريش المتطاير فى كل مكان ..

ثم فجأة ! هبط داخل المدفأة الخاملة جسم آخر ..

جسم لم يكد يبلغ قاعها ، حتى تحوّل فجأة إلى كتلة من النشاط والحيوية ، فوثب خارجها ، وركل مسدس رجل العصابات الضخم فى خفة ، أمام أجهزة رصد مستر (X) ، الذى غمغم فى مقت :

- (تيا) .

مع قوله ، وثبت (تيا) وثبة أخرى ، تحركت معها قدماها معًا ، فركلت ذلك الضخم فى أنفه وفكه ركلتين متعاقبتين

سريعتين ، دفعتاه إلى الخلف فى عنف ، قبل أن يتماسك ، ويصرخ فى غضب :

ـ إذن فهو أنت .

تحركت (تيا) فى خفة ، وهى تقول فى سخرية :

ـ نعم .. هو أنا .

استلّ من حزامه خنجرًا ماضيًا بحركة حادة ، وهو يقول :

ـ كم سيسعدنى أن أمزقك إربًا ، أمام عينى الزعيم مباشرة .

مطت شفتيها ، وهزت كتفيها ، قائلة :

ـ يمكنك أن تحاول .

أطلق صرخة وحشية ، وهو ينقض عليها بجسده الضخم ، على نحو جعل المشهد أشبه بدب ينقض على غزال رقيق ..

ولكن الغزال تفادى الانقضاضة فى رشاقة مدهشة ، ثم وثب بإحدى قدميه فوق ذلك المقعد ، فى منتصف الحجرة ، واستخدمه كنقطة ارتكاز ، لوثبة أخرى رائعة ، جعلته يتجاوز الدب ، ثم يركله فى ظهره ركلة ، دفعته ليسقط على وجهه ..

وعندما حاول الدب النهوض ، استقبله الغزال بركلة أخرى فى أنفه ، تفجرت معه الدماء منها ، وأعاقت رؤيته ، وهو يصرخ :

ـ أيتها الـ ...

أخرسته ركلة أخرى فى أسنانه ، وثانية فى عنقه ..

فى منتصف عنقه مباشرة ..

ومع الركلة ، صدرت فرقعة محدودة ..

فرقعة اتسعت معها عينا ذلك الضخم ..

وامتقع وجهه ..

وتثلجت أطرافه ..

وثوان ، حدق فى الشابة الضئيلة أمامه ، فى مزيج من الدهشة والاستنكار ، فى حين جلست هى على المقعد فى استرخاء ، قائلة :

ـ هيا .. اسقط .

مع نهايـة قولها صدرت من الضخم حشرجة مخيفـة ، وراحت يداه تضربان الهواء فى استماتة ، بحثًا عن الهواء ، الذى افتقده مع تحطم حنجرته وراحت عيناه تتسعان ..

وتتسعان ..

وتتسعان ..

وفى مقت بلا حدود ، اتجه نحو (ثيا) ، التى استرخت تمامًا فى المقعد ، تراقبه باستهتار ..

وعلى مسافة متر واحد منها ، سقط الضخم على ركبتيـه ، وانطلقت منه حشرجة أخيرة ..

ثم هوى ..

هوى جثة هامدة ، تحت قدميها ، فقال مستر (X) فى غلظة ، حاول أن يخفى بها انبهاره بما حدث أمام عينيه :

ـ لماذا حدث ؟!

هزت كتفيها بلا مبالاة ، وهى تقول :

ـ إننا لم نتم صفقتنا بعد .

ولم ينطق مستر (X) بحرف واحد ..

لم يجد الكلمات المناسبة ، للتعبير عما يدور فى أعماقـه ، فى تلك اللحظة العجيبة ..

فالواقع ، أنه صار مبهورًا بتلك الصينية الحسناء تمامًا ، والتى ازداد استرخاؤها فى مقعدها ، كما لو أنها تستمتع بما يحدث ، وهى تقول :

ـ الواقع أننى أردت أن أثبت حقيقة واحدة .

سألها فى خشونة :

ـ وما هى ؟!

رفعت سبابتها أمام وجهها المنمنم ، قائلة :

ـ إنه لايوجد سوى سبيل واحد للتعامل بيننا .

ثم مالت نحو الشاشة ، مضيفة :

ـ الاحترام المتبادل .

انعقد حاجبا الرجل بشدة ، وراح يتأملها عبر أجهزته الراصدة فى إمعان ، وقام بتكبير وجهها ، حتى صار يملأ شاشته كلها ، قبل أن يقول :

- ماذا تريدين بالضبط يا (تيا) ؟!

هزّت كتفيها ، قائلة :

- كل ما أريده هو أن أستلمك ما دفعت ثمنه .

ثم اعتدلت على المقعد ، مضيفة فى حزم :

- أريد الاتصال بـ (لاماس) .

صمت مستر (X) بضع لحظات ، وهو يدرس الأمر فى ذهنه جيدًا ، قبل أن يقول فى حزم :

- وما أدرانى أنها ليست خدعة جديدة ؟!

تألقت ضحكة ساخرة فى عينيها ، وهى تقول :

- ولماذا ألجأ إليها فى رأيك ؟!

بدا سؤالها منطقيًا تمامًا ، مع كل ما تبديه من جرأة ومهارة ، إلا إنه لاذ بالصمت بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى بطء :

- تريدين السفر إلى (كولومبيا) إذن .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

- وسأعود مع البضائع ، التى دفعت ثمنها ، و ...

قاطعها فى حزم :

- فليكن .

اعتدلت فى اهتمام ، متسائلة :

- هل توافق ؟!

أجابها فى حزم :

- مع شرط واحد ..

عادت إلى مقعدها ، مغمغمة فى حذر :

- وما هو ؟!

مال نحو الشاشة ، وهو يجيب فى صرامة :

- أريد معرفة مصير (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

وانعقد حاجبا (تيا) ..

بشدة ..

* * *

لم يكد أذان الفجر ينطلق ، فى مدينـة (الفالوجا) ، حتى بدأ الهجوم ..

وبمنتهى العنف ..

والشراسة ..

والوحشية ..

طائرات الأباتشى انقضت كالوحوش المفترسة ، على تلك المنطقة من المدينة ، وراحت تمطرها بصواريخها ، دون سابق إنذار ..

وانطلقت المدرعات الأمريكية تحاصر منطقة الهجوم ، وتطلق النيران على كل من يحاول الفرار منها ، من رجال ..

أو نساء ..

أو أطفال ..

حتى الشيوخ والعجائز ، لم ترحمهم الرصاصات والقنابل الأمريكية ..

وأصبحت المدينة كلها بحالة من الذعر ، لامثيل لها ..

فلأوّل مرة ، أدرك الجميع أنهم ليسوا أمام مواجهة عادية ..

بل حرب ..

حرب إبادة ..

شاملة ..

حرب تعالى وطيسها ، فى سرعة ، والنيـران تنتشر فـى المنطقة المنكوبة ..

وتنتشر ..

وتنتشر ..

ووسط صراخ النسـاء والأطفال ، خرجت مجموعة من رجال المقاومة البواسل من مكامنها ..

وراحت تقاتل ..

وتناضل ..

وتدافع ..

ومع القنابل والصواريخ ، التـى تتفجّر طـوال الوقت بلا انقطاع ، بدأ هجوم قوات الكوماندوز ..

أعداد هائلة منهم راحت تهاجم تلك المنطقة ..

وبدأت مذبحة جديدة ..

ففى هذا الشأن ، كانت لديهم أوامر محدودة ..

لا أسرى ..

أو أحياء ..

لذا فقد كانت نيران رجال الكوماندوز تحصد كل من تلتقى به ، دون رحمة أو شفقة ..

رجال ..

شيوخ ..

نساء ..

أطفال ..

لا أحد بات مؤمنًا ..

أو لديه أدنى أمل بالنجاة ..

ومن موقعه ، كان الجنرال (أيكون) يتابع كل ما يحدث ، على شاشة خاصة ..

وعلى الرغم من المذابـح الرهيبـة ، التى يراها أمامـه ، كانت ملامحه باردة ..

جـافة ..

خاوية ..

لم تكن أشبه أبدًا بالملامح البشرية ..

بل بملامح وحش ..

وحـش كاسـر ، تجـرّد مـن كـل لمحـة مـن الآدميـة والإنسانية ..

كانت صرخات القتلى تبلغه ..

وتوسلاتهم ..

وعذاباتهم ..

وآلامهـم ..

ولكن ذرة واحدة من الرحمة لم تتحرك فى أعماقه ..

ولمحة واحدة من الشفقة ، لم تبرز فى قلبه ..

ففى أعمق أعماقه ، كان يدرك أن هذا انتقامه ..

انتقامه الشخصى ..

الإذلال الذى عاناه ، أمام ذلك الإسرائيلى ، بسبب ما فعله به من أسماهم بالثعالب ، كان يمزق كيانه طوال الوقت ..

نقطة سوداء فى تاريخه الطويل ..

لحظة ضعف ، تمنى لو أن يمحوها من ذاكرته ..

ومن الوجود كله ..

إلى الأبد ..

ولأن المعلومات التى وردته ، كانت تؤكد له أن خصومــه هناك ، فى تلك المنطقة ، فقد كان يرغب فى سحقها سحقًا ..

بلا رحمة ..

أو هوادة ..

أو أخطاء ..

لذا فكل ما يحدث لم يبد له كمذبحة ..

أو مجزرة ..

بل بدا له أشبه بعيد ..

عيد انتصاره ..

وثـأره ..

واستعادة كرامته الجريحة ..

مهما كان الثمن ..

على الإطلاق ..

* * *

« إنها أكبر مجزرة ، فى تاريخ الحرب كلها .. »

نطق أحد رجال (إيثان كوهين) العبارة ، فى بطء شديد ، وهو يتطلع إلى رئيسه ، الذى تألقت عيناه ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلًا :

ـ إذن فقد فعلها ذلك الجنرال الأحمق ..

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ وبأعنف وسيلة ممكنة ..

تألقت عينـا رجل المخابرات الإسرائيلى أكثر ، وهو ينهض من مقعده ، ويتجه نحو النافذة ، قائلًا :

ـ عظيم .

مع نهايـة قولها صدرت من الضخم حشرجة مخيفـة ، وراحت يداه تضربـان الهواء فى استماتة ، بحثًا عن الهواء ، الذى افتقده مع تحطم حنجرته وراحت عيناه تتسعان ..

وتتسعان ..

وتتسعان ..

وفى مقت بلا حدود ، اتجه نحو (ثيا) ، التى استرخت تمامًا فى المقعد ، تراقبه باستهتار ..

وعلى مسافة متر واحد منها ، سقط الضخم على ركبتيـه ، وانطلقت منه حشرجة أخيرة ..

ثم هوى ..

هوى جثة هامدة ، تحت قدميها ، فقال مستر (X) فى غلظة ، حاول أن يخفى بها انبهاره بما حدث أمام عينيه :

ـ لماذا حدث ؟!

هزت كتفيها بلا مبالاة ، وهى تقول :

ـ إننا لم نتم صفقتنا بعد .

ولم ينطق مستر (X) بحرف واحد ..

لم يجد الكلمات المناسبة ، للتعبير عمـا يدور فى أعماقـه ، فى تلك اللحظة العجيبة ..

فالواقع ، أنه صار مبهورًا بتلك الصينية الحسناء تمامًا ، والتى ازداد استرخاؤها فى مقعدها ، كمـا لو أنهـا تستمتع بما يحدث ، وهى تقول :

ـ الواقع أننى أردت أن أثبت حقيقة واحدة .

سألها فى خشونة :

ـ وما هى ؟!

رفعت سبابتها أمام وجهها المنمنم ، قائلة :

ـ إنه لايوجد سوى سبيل واحد للتعامل بيننا .

ثم مالت نحو الشاشة ، مضيفة :

ـ الاحترام المتبادل .

انعقد حاجبا الرجل بشدة ، وراح يتأملها عبر أجهزته الراصدة فى إمعان ، وقام بتكبير وجهها ، حتى صار يملأ شاشته كلها ، قبل أن يقول :

- ماذا تريدين بالضبط يا (تيا) ؟!

هزت كتفيها ، قائلة :

- كل ما أريده هو أن أسلمك ما دفعت ثمنه .

ثم اعتدلت على المقعد ، مضيفة فى حزم :

- أريد الاتصال بـ (لاماس) .

صمت مستر (X) بضع لحظات ، وهو يدرس الأمر فى ذهنه جيدًا ، قبل أن يقول فى حزم :

- وما أدرانى أنها ليست خدعة جديدة ؟!

تألقت ضحكة ساخرة فى عينيها ، وهى تقول :

- ولماذا ألجأ إليها فى رأيك ؟!

بدا سؤالها منطقيًا تمامًا ، مع كل ما تبديه من جرأة ومهارة ، إلا إنه لاذ بالصمت بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى بطء :

- تريدين السفر إلى (كولومبيا) إذن .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

- وسأعود مع البضائع ، التى دفعت ثمنها ، و ...

قاطعها فى حزم :

- فليكن .

اعتدلت فى اهتمام ، متسائلة :

- هل توافق ؟!

أجابها فى حزم :

- مع شرط واحد ..

عادت إلى مقعدها ، مغمغمة فى حذر :

- وما هو ؟!

مال نحو الشاشة ، وهو يجيب فى صرامة :

- أريد معرفة مصير (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

وانعقد حاجبا (تيا) ..

بشدة ..

* * *

لم يكد أذان الفجر ينطلق ، فى مدينـة (الفالوجا) ، حتى بدأ الهجوم ..

وبمنتهى العنف ..

والشراسة ..

والوحشية ..

طائرات الأباتشى انقضت كالوحوش المفترسة ، على تلك المنطقة من المدينة ، وراحت تمطرها بصواريخها ، دون سابق إنذار ..

وانطلقت المدرعات الأمريكية تحاصر منطقة الهجوم ، وتطلق النيران على كل من يحاول الفرار منها ، من رجال ..

أو نساء ..

أو أطفال ..

حتى الشيوخ والعجائز ، لم ترحمهم الرصاصات والقنابل الأمريكية ..

وأصبحت المدينة كلها بحالة من الذعر ، لا مثيل لها ..

فلأوّل مرة ، أدرك الجميع أنهم ليسوا أمام مواجهة عادية ..

بل حرب ..

حرب إبادة ..

شاملة ..

حرب تعالى وطيسها ، فى سرعة ، والنيـران تنتشر فى المنطقة المنكوبة ..

وتنتشر ..

وتنتشر ..

ووسـط صراخ النسـاء والأطفـال ، خرجت مجموعة من رجال المقاومة البواسل من مكامنها ..

وراحت تقاتل ..

وتناضل ..

وتدافع ..

ومع القنابل والصواريخ ، التـى تتفجّر طـوال الوقـت بلا انقطاع ، بدأ هجوم قوات الكوماندوز ..

أعداد هائلة منهم راحت تهاجم تلك المنطقة ..

وبدأت مذبحة جديدة ..

ففى هذا الشأن ، كانت لديهم أوامر محدودة ..

لا أسرى ..

أو أحياء ..

لذا فقد كانت نيران رجال الكوماندوز تحصد كل من تلتقى به ، دون رحمة أو شفقة ..

رجال ..

شيوخ ..

نساء ..

أطفال ..

لا أحد بات مؤمنًا ..

أو لديه أدنى أمل بالنجاة ..

ومن موقعه ، كان الجنرال (أيكون) يتابع كل ما يحدث ، على شاشة خاصة ..

وعلى الرغم من المذابح الرهيبة ، التى يراها أمامه ، كانت ملامحه باردة ..

جافة ..

خاوية ..

لم تكن أشبه أبدًا بالملامح البشرية ..

بل بملامح وحش ..

وحش كاسر ، تجرَّد من كل لمحة من الآدمية والإنسانية ..

كانت صرخات القتلى تبلغه ..

وتوسلاتهم ..

وعذاباتهم ..

وآلامهم ..

ولكن ذرة واحدة من الرحمة لم تتحرك فى أعماقه ..

ولمحة واحدة من الشفقة ، لم تبرز فى قلبه ..

ففى أعمق أعماقه ، كان يدرك أن هذا انتقامه ..

انتقامه الشخصى ..

الإذلال الذى عاناه ، أمام ذلك الإسرائيلى ، بسبب ما فعله به من أسماهم بالثعالب ، كان يمزق كيانه طوال الوقت ..

نقطة سوداء فى تاريخه الطويل ..

لحظة ضعف ، تمنى لو أن يمحوها من ذاكرته ..

ومن الوجود كله ..

إلى الأبد ..

ولأن المعلومات التى وردته ، كانت تؤكد له أن خصومه هناك ، فى تلك المنطقة ، فقد كان يرغب فى سحقها سحقًا ..

بلا رحمة ..

أو هوادة ..

أو أخطاء ..

لذا فكل ما يحدث لم يبد له كمذبحة ..

أو مجزرة ..

بل بدا له أشبه بعيد ..

عيد انتصاره ..

وثـأره ..

واستعادة كرامته الجريحة ..

مهما كان الثمن ..

على الإطلاق ..

* * *

« إنها أكبر مجزرة ، فى تاريخ الحرب كلها .. »

نطق أحد رجال (إيثان كوهين) العبارة ، فى بطء شديد ، وهو يتطلع إلى رئيسه ، الذى تألقت عيناه ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلًا :

- إذن فقد فعلها ذلك الجنرال الأحمق ..

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

- وبأعنف وسيلة ممكنة ..

تألقت عينـا رجل المخابرات الإسرائيلى أكثر ، وهو ينهض من مقعده ، ويتجه نحو النافذة ، قائلًا :

- عظيم .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة جذلة ، وهو يضيف :

ـ أفضل ما فى الأمر ، هو أنه قد فعلها ، بناءً على المعلومات ، التى سربناها إليه عمدًا .

تردد أحد الرجال لحظة ، ثم لم يلبث أن حسم أمره ، وتساءل :

ـ ولكن لماذا يا سيدى ؟! لماذا سعيت لإيهامه بأن خصومه يختفون هناك ، فى تلك المنطقة .

ابتسم (إيتان) فى خبث ، وهو يجيب :

ـ حتى يفعل ما فعله .

وصمت لحظة ، بدا معها أنه سيكتفى بالجواب ، إلا أنه لم يلبث أن تابع بعدها موضحًا :

ـ بعدما أصابه ، ستصيبه المعلومة بالجنون ، وستدفعه إلى انتقام غاضب أحمق .. انتقام سينفذ فيه كل ما توقعته ، فيرسل جنوده ومقاتلاته ومدرعاته ، لترتكب أبشع مجزرة .

تساءل أحد الرجال فى اهتمام :

ـ ثم ؟!

تابع (إيتان) ، وكأنه يجيبه :

ـ وتصبح نقطة سوداء داكنة فى تاريخه ، سواء فى الولايات المتحدة ، أو هنا .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى مقت :

ـ الأهم .. هنا .

تطلع إليه الرجال ، فى انتباه متسائل ، فشد قامته ، قائلاً :

ـ الجنرال (أيكون) قرر التخلى عنا ، والوقوف فى وجه مصالح (إسرائيل) ، وأنتم تعلمون كيف اعتدنا التعامل مع مثل هذه الأمور ، وما هى قاعدتنا الأولى ، فى هذا المضمار ..

وانعقد حاجباه على نحو مخيف ، وهو يضيف :

ـ كل من يقف فى طريق (إسرائيل) الكبرى ، لابد وأن يزاح عن الطريق .

استل أحدهم مسدسه ، وجذب مشطه ، وتركه يرتد بصوته المعدنى ، وهو يقول فى غلظة :

ـ إزاحته عن الطريق لن تمثل مشكلة .

أجابه معاونه فى خفوت :

ـ الجنرال (أيكون) شخصياً .

استدار إليه المدير ، يسأله فى ضيق :

ـ وما مبرّره فى هذا ؟!

أجابه المعاون فى سرعة :

ـ ظاهرياً ، كانت حملة انتقامية ، من مجموعة من المقاومة ، اعتبرها مسئولة عن اغتيال ذلك الزعيم الدينى ..

سأله المدير فى اهتمام :

ـ وباطنياً .

أجاب المعاون :

ـ معلوماتنا تقول : إنه كان يسعى خلف ذلك المجهول ، الذى أذلّ ناصيته مع رفاقه .

انعقد حاجبا المدير فى غضب ، وهو يقول مستنكراً :

ـ أكل هذا للانتقام فحسب ؟!

قال المعاون :

ـ أو للإيقاع بهم .

التقى حاجبا المدير فى تفكير عميق لبعض الوقت ، قبل أن يقول :

ـ ومن أدراه أنهم هناك ؟!

هزّ المعاون كتفيه ، وهو يجيب :

ـ من المؤكّد أنه قد تلقى بعض المعلومات ، فى هذا الشأن .

ازداد انعقاد حاجبى المدير ، وهو يفكر بعمق أكثر ، فى طريقه إلى مكتبه ، الذى لم يكد يستقر خلفه ، حتى تساءل بكل الاهتمام :

ـ كيف كانت المقاومة ، فى المنطقة المنكوبة .

أجابه معاونه فى سرعة والتضاب :

ـ شرسة .

سأله المدير ، واهتمامه يتزايد :

ـ وهل كانت متميّزة ؟!

استوعب الرجل على الفور ما يعنيه الوزير ، فأجاب فى سرعة وحماس :

- لايوجد ما يدل على أن ذلك الفريق كان هناك .

انعقد حاجبا المدير بشدة هذه المرة ، وتراجع فى مقعده ، وشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يفكر بضع لحظات ، قبل أن يدير عينيه إلى معاونه ، قائلا فى حزم متوتر :

- إننا أمام لعبة يا رجل .. لعبة قذرة ، تمت إدارتها فى براعة ؛ لإشعال النيران فى هدف بعينه .

سأله معاونه فى قلق :

- أى هدف ؟!

صمت المدير لحظة ، ثم أجاب بمنتهى الحزم :

- (أيكون) .

وانتفض جسد المعاون ..

بعنف ..

* * *

« ما حدث لايمكن السكوت عليه أبدًا .. »

حمل صوت رجل المخابرات الأردنى (وجيه الهاشمى) كل الغضب المشتعل فى أعماقه ، وهو يهتف بالعبارة ،

داخل مقر سرى خاص ، فى إحدى المدن العراقية ، فأشار إليه المغربى (محمد بن على) ، قائلاً بنفس الغضب :

- الحقير (أيكون) هذا يحتاج إلى صفعة أخرى .

رفع إليهما السورى (أكرم كيلانى) رأسه ، قائلاً فى صرامة :

- لست أظن أنه من الممكن أن نكتفى بصفعة هذه المرة .

لوّح (وجيه) بقبضته ، هاتفًا :

- بالنسبة لى ، أريد أن أسحقه سحقًا . لقد تجرّد ذلك الوغد الحقير ، من كل لمحة من الإنسانية والآدمية ، وهو يذبح الأطفال والنساء ، ويريق الدم العربى أنهارًا ، دون شفقة أو رحمة .

صاح (محمد) :

- لابد وأن يدفع الثمن .. لابد وأن يدفع ثمن كل قطرة دم عربى ، أريقت فى مذبحته الحقيرة .

أشار إليهما (أكرم) بالصمت ، وهو يقول فى حزم :

- تماسكا نفسيكما .. كلنا غاضبون ثائرون لما حدث ، ولكن تذكروا القاعدة الذهبية .. من يفقد أعصابه ، يخسر معركته

لابد وأن نتماسك ، ونتآزر ، وننحى مشاعرنا الشخصية جانبًا ، ونحن ندرس الموقف ، ونتخذ قراراتنا القادمة .

تبادل (وجيه) و(محمد) نظرة متوترة ، ثم تراجعا فى مرارة ، والأول يغمغم فى خفوت منفعل :

ـ ولكن لابد أن نفعل شيئًا .

التقط (أكرم) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ الأمر لن يكون سهلاً أو بسيطًا هذه المرة ، مع إجراءات الأمن شديدة التعقيد ، التى وضعها الجنرال (أيكون) ؛ تحسبًا لأى رد فعل انتقامى ، وسنكون بحاجة إلى الكثير من المعلومات ، قبل أن نضع خطتنا .. وأن نتروى فى تنفيذها .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى احترام :

ـ هذا ما علمنا إياه أستاذنا .

لم يكد يأتى على ذكر الأستاذ ، حتى حفرت المهابة خطوطها العريضة ، على ملامح الرجلين ، وتبادلا نظرة صامتة ، مفعمة بالاحترام والتقدير ، قبل أن يغمغم المغربى :

ـ وما رأيه فيما حدث ؟!

أجابه (أكرم) فى سرعة :

ـ وهل تحتاج إلى جواب لسؤالك هذا ؟!

إنه أكثرنا حزنًا ومرارة حتمًا ، ألا تدرك كم يبغض العنف والدمار ، على الرغم من أنه يحيا فيهما دومًا .

تبادل الرجلان نظرة صامتة أخرى ، قبل أن يهمس المغربى ، وكأنه يخشى أن يرفع صوته ، فيفسد مهابة الموقف :

ـ إننا لم نره منذ الصباح .

بدا تأثر واضح ، فى ملامح (أكرم) وصوته ، وهو يقول :

ـ أظنه ينشد بعض الوحدة ؛ ليفرغ أحزانه ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى خفوت :

ـ وذكرياته ..

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان هو يجلس على بعد أمتار من ثلاثتهم ، داخل حجرة مغلقة ..

حجرة بسيطة ، حوت فراشًا صغيرًا ، ومرآة ، وشماعة ملابس وصندوق ذخيرة ..

وفى منتصفها ، كان يجلس ..

كان رأسه مستنداً إلى لوحة مدفعه الآلى ، وعيناه مغلقتان ، والحزن يرسم أبأس صورة على ملامحه ..

لم يكن باستطاعته أبداً أن يتجاوز ما حدث ..

وفى أعمق أعماقه ، كان يسمع صراخ الشيوخ ..

والنساء ..

والأطفال ..

صراخ يطالبه بالنهوض ..

والانتقام ..

والثأر ..

صراخ لم يتوقف عن التردد فى أعمق أعماقه ، منذ فترة ليست بالقصيرة ..

فترة لم تبتسم خلالها شفتاه ..

أبداً ..

وفى ذهنه ، وعلى الرغم من آلامه ومرارته ، راحت الذكريات تتداعى ..

وتتداعى ..

وتتداعى ..

جزيرة الزعيمة فى قلب المحيط ..

القتال العنيف ..

رصاصات ..

انفجارات ..

دماء ..

ثم برنامج التفجير الذاتى ..

ومصرع الرفاق ..

كل الرفاق ..

(منى) ..

(قدرى) ..

(شريف) ..

(ريهام) ..

وبعدهم ابنه .. (آدم) ..

كلهم لقوا مصرعهم أمام عينيه ..

وتمزق قلبه .

تمزق كما لم يتمزق من قبل ..

وقاتل كالأسود ..

ولحظة الانفجار تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وسمع صوت باب ينزلق من خلفه ..

« من هنا .. » ..

صك مسامعه فجأة صوت تلك الصينية الحسناء (تيا) ، فالتفت خلفه ، ورآها تبرز من مخبأ سرى فى الجدار ، وتهتف به :

ـ أسرع .. هذه الممرات محصنة .. ستحمينا من الانفجار .

لم يدر لماذا وثب إليها يومها !

لماذا سعى للنجاة ، بعد أن فقد كل من أحب ؟!

ولكنه فعلها ..

غريزة البقاء فى أعماقه ، جعلته يثب إلى ذلك الممر السرى ، الذى أغلقت (تيا) مدخله بضغطة زر ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجار هائل ، أطاح بجزيرة الزعيمة ، وارتج معه ذلك الممر السرى فى عنف ..

بل بمنتهى العنف ..

كان يعدو مع الصينية عبره ، عندما اختلّ توازنهما بفعل الانفجار ، وشعر بموجة حارة كاللهيب ، ترتطم بجسده ، وتدفعه أمامها لعدة أمتار ، قبل أن يرتطم بجدار معدنى ..

ويسقط ..

آخر ما رآه يومئذ هو (تيا) وهى تعدو نحوه ، والحرارة تتصاعد ..

وتتصاعد ..

وتتصاعد ..

ثم فقد وعيه بغتة ..

و ....

« معذرة يا أستاذ .. »

نطق (أكرم) العبارة فى خفوت حذر ، ففتح (أدهم) عينيه فى بطء ، واستدار إليه بعينين متساءلتين ، جعلتاه يتابع :

ـ إنك لم تخرج إلينا منذ الصباح ، فشعرنا بالقلق ، و ...

لم يستطع أن يتم عبارته ، وهو يتطلّع فى مهابة إلى أستاذه ، الذى حملت عيناه حزنًا بلا حدود ، والذى نهض ملتقطًا مدفعه الآلى ، وهو يقول :

ـ أعلم أنكم تنشدون الانتقام .

قال (أكرم) فى مرارة :

ـ لن يطيب لنا العيش دونه .

تطلّع إليه (أدهم) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ الإسرائيليون أولاً ، وبعدها سيدفع (أيكون) الثمن .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يتمتم :

ـ الإسرائيليون ؟!

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا فى بطء ، قبل أن يقول فى مقت :

ـ نعم .. إنهم وراء كل عذاب عرفه البشر ، فى العصر الحديث ، ووحدهم يسعون لإراقة الدم العربى ، فى كل لحظة من الليل أو النهار .

قال (أكرم) فى ضيق :

ـ ولكن الجنرال (أيكون) ، هو الذى ....

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

ـ (أيكون) هو الذى ضغط زر التنفيذ ، لكن هم الذين دفعوه إلى هذا ، وهو يتصوّر أنه قراره وحده .

سأله السورى فى اهتمام :

ـ وكيف يا أستاذ ؟!

أجاب فى حزم :

ـ المعلومات .. لقد أقنعوه أننا هناك .. فهاجم .

كانت كلماته مقتضبة ، ولكن السورى استوعبها ..

وفهمها ..

وأدركها ..

وفى غضب ، انعقد حاجباه ، وغمغم :

ـ يا للأوغاد !

أشار إليه (أدهم) بمغادرة الحجرة ، ثم لحق به مع المغربى والأردنى ، وقال لثلاثتهم فى حزم ، يوحى بأنه قد اتخذ قرارًا حاسمًا :

ـ الكل يتوقع الآن أن نوجه انتقامنا إلى (أيكون) ، جزاء ما فعله وسيتم اتخاذ كافة الاحتياطات ؛ لمنعنا من الوصول إليه .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ ولكننا لن نسعى حتى للوصول إليه .

ثم شد قامته ، مستطردًا :

ـ سنوجّه ضربتنا إلى هدف آخر تمامًا .

هتف الأردنى فى حماس :

ـ الإسرائيليون .

ولم ينبس (أدهم) ببنت شفة ..

ولكن ملامحه أجابت بالكثير ..

الكثير جدًا ..

* * *

حمل صوت مستر (X) كل حزمه وصرامته وانفعاله ، وهو يقول للصينية الحسناء (تيا) ، عبر شاشة الاتصال :

ـ إذن فقد أنقذت (أدهم صبرى) ، من انفجار جزيرة الزعيمة .

زفرت (تيا) فى ضجر ، وهى تقول :

ـ لقد رويت هذه القصة أكثر من ثلاث مرات ، خلال اليومين الماضيين .. ألا تسأم سماعها أبدًا ؟!

أجابها بمنتهى الصرامة :

ـ أريد سماعها مرة أخيرة .

كان الضجر والملل يملأن كيانها كله ، من تكرار القصة أكثر من مرة ، إلا أنها التقطت نفسًا عميقًا ، وقالت :

ـ لقد أنقذته فى اللحظة الأخيرة ، ونقلته إلى شبكة خاصة ، من ممرات قوية مؤمَّنة ، أعدتها الزعيمة ؛ كوسيلة أخيرة للهروب ، إذا ما تأزَّمت الأمـور .. وعندما دوى الانفجار ، كان من العنف ، حتى إنه كاد يحطم جدران تلك الممرات .

وصمتت لحظة ، التقطت خلالها نفسًا آخر ، قبل أن تتابع :

ـ ولكنها صمدت .

سألها مستر (X) :

ـ وماذا عنه ؟!

أشارت بيدها ، قائلة :

ـ كان قد بذل جهدًا خرافيًا ، يفوق قدرات أى بشرى عادى ، وفقد الكثير من الدماء ، من إصاباته المختلفة ، ولكننى استطعت نقله إلى غوَّاصة طوارئ خاصة صغيرة ، مقاومة لموجات السونار ، وانطلقت به مبتعدة ، إلى جزيرة أخرى صغيرة ، كنت قد أعددت فيها مخبأ صغيرًا للطوارئ .

غمغم فى مقت :

ـ أنت أنقذتيه .

أومأت برأسها ، قائلة :

ـ كان قوى البنية ، واستعاد كفاءته خلال ثلاثة أيام فحسب ، وتصوَّرت أن باستطاعتى إقناعه بالبقاء معى هناك ، بعيدًا عن كل أعدائه ، إلا أنه كان يعانى من حزن شديد ، منعه من التجاوب معى ، على أى مستوى .

سأله مستر (X) :

ـ هل أخبرتيه أن رفاقه على قيد الحياة ؟!

ابتسمت فى جذل ، وهى تقول :

ـ المدهش أننى قد نجحت فى إخفاء هذا عنه ، على الرغم من أننى نقلتهم ، على متن الغوَّاصة الصغيرة نفسها ، إلى حيث تم علاجهم .. الغوَّاصة حملتهم معًا ، دون أن يدرك هو وجودهم ، أو يدركوا هم وجوده .

وتألقت عيناها فى زهو ، وهى ترفع سبابتها ، قائلة :

ـ كانت لمحة عبقرية ، سأظل أزهو بها ، حتى آخر العمر .

سألها مستر (X) فى اهتمام :

ـ ثم ماذا حدث بعدها ؟!

كانت تشعر بالملل ؛ لأنها ليست أول مرة تروى فيها هذا ، ولكنها أجابت فى ضجر :

ـ لست أدرى .. لقد استيقظت ذات يوم ، فلم أجده فى الجزيرة .. فتشتها كلها ، ولم أجد أدنى أثر له .. لست أدرى حتى كيف غادرها ، ولا أين ذهب ، فلم أسمع عنه منذ حدث هذا .

مال نحو الشاشة ؛ يسألها فى حزم :

ـ ولم يعرف مصير رفاقه قط !

هزّت رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ـ مطلقًا .. لقد خشيت أن ينصرف عنى إليهم ، إذا ما علم أنهم مازالوا على قيد الحياة ، فأخفيت هذا عنه تمامًا ، حتى غادرنى دون أن يعلمه ..

صمت مستر (X) طويلاً هذه المرة ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ هل تعلمين لماذا طلبت منك رواية الأمر أكثر من مرة ؟!

قالت ساخرة :

ـ لأنك أردت أن تقتلنى ، من فرط الملل .

تجاهل تعليقها الساخر ، وهو يواصل :

ـ لأن طاقم الخبراء لدى ، يصرّ على سماع القصة الواحدة عدة مرات ؛ ليمكنه تحديد مواطن الصدق والكذب فيها ، قبل اتخاذ قرار بشأنها .

اعتدلت على مقعدها فى انتباه ، وهى تقول فى حذر :

ـ وهل فعلوا ؟!

أحنقتها فترة الصمت الطويلة ، التى لاذ بها ، قبل أن يجيب فى بطء شديد :

ـ بالتأكيد .

حمل صوتها ذلك القلق ، الذى حاولت أن تخفيه فى أعماقها ، وهى تسأله :

ـ وما الذى توصلوا إليه ؟!

صمت طويلاً هذه المرة أيضاً ، قبل أن يقول بنفس البطء :

ـ يقولون إنك صادقة فى بعض أجزاء قصتك .

سألته بمنتهى الحذر والقلق :

ـ وماذا عن الأجزاء الأخرى ؟!

وهنا ، مال إلى الأمام ، وحمل صوته كل صرامة الدنيا ، وهو يجيب :

ـ فيها أنت كاذبة .. كاذبة تماماً .

وكانت مفاجأة للصينية الحسناء ..

مفاجأة مربكة ..

للغاية !

^RAYAHEEN^

* * *

www.liilas.com/vb3

٥ ـ الوحش ..

شد الجنرال (أيكون) قامته ، فى صرامة شديدة ، وهو يستقبل رجل المخابرات الإسرائيلى (إيتان كوهين) فى مكتبه ، قائلاً فى خشونة :

ـ تصورت أن علاقتنا قد انتهت رسمياً ، ويدهشنى أن تطلب مقابلتى بهذا الإصرار .

ارتسمت ابتسامة خبيثة ، على شفتى الإسرائيلى ، وهو يقول :

ـ تصورٌ خاطئ يا عزيزى الجنرال ، فبعد ساعة واحدة ، سيصلك أمر مباشر من قيادتك ، بالتعاون معى ، إلى أجل غير مسمى .

انعقد حاجبا (أيكون) الكثان فى غضب ، وقال فى حدة :

ـ فليكن .. سأناقش هذا مع قيادتى ، أما الآن ، وحتى أتلقى الأمر رسمياً ، فلست ..

قاطعه (إيتان) فى صرامة :

- كفى يا جنرال .

اطلّ غضب أكثر ، من عينى (أيكون) ، ولكنه تابع بنفس الصرامة :

- لا يحق لك العبث على هذا النحو الصبيانى ، فى ظروف كهذه .. لقد تعلمنا دومًا أن ننبذ خلافاتنا ، ومشاعرنا الشخصية ، عندما نواجه الخطر .

قال (أيكون) فى غلظة :

- وماذا لو أننى لم أفعل ؟!

أجابه (إيتان) فى حزم :

- بل ستفعل يا جنرال ؛ لأن ما أحمله لك من معلومات ، سيقلب خططك كلها رأسًا على عقب .

وعلى الرغم من غضبه ، اشتمّ (أيكون) رائحة مقلقة ، فى عبارة رجل المخابرات الإسرائيلى ، فسأله فى شىء من العصبية :

- أية معلومات ؟!

أدرك (إيتان) أنه قد أصاب هدفه ، فانتقى أفضل مقعد فى حجرة الجنرال (أيكون) ، وجلس عليه ، فى استرخاء ، قائلاً :

- إنك لم تقض عليهم .

لم يرتح (أيكون) للعبارة ، وهو يسأل فى خشونة :

- من تعنى ؟!

أشار الإسرائيلى بيده ، قائلاً :

- خصومك .. الثعالب .. إنهم مازالوا على قيد الحياة .

حدّق الجنرال فى وجهه بضع لحظات ، فى صمت مستنكر ، قبل أن يقول فى عصبية :

- مستحيل !

ثم أشار إلى الخريطة المعلقة خلفه ، متابعًا فى حدة :

- لقد حددت المعلومات موقعهم ، وقمنا بمحوه من الوجود تمامًا ، ولم نسمح حتى لذبابة بالخروج منه ، حتى أبدنا كل من فيه .

هزّ (إيتان) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يقول :

- لم يكونوا هناك .

اعتدل (أيكون) ، واحتقن وجهه بشدة ، وهو يكرر :

- مستحيل !

ثم أشار بيده ، مضيفًا في عصبية :

- ولكن كل شيء يؤكد هذا .. لقد أبدنا منطقة اختبائهم ، وسحقناها سحقًا ، وبعدها توقفت عملياتهم الجريئة تمامًا ، وهذا دليل على أن أمرهم قد انتهى .

عاد (إيتان) يهز رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- بل هذا هو الهدوء ، الذي يسبق العاصفة فحسب .

حدق فيه (أيكون) بضع لحظات أخرى ، ثم قال في عصبية :

- لا .. لا يمكن أن تكون على حق .

اعتدل الإسرائيلي في مقعده ، وقال في حزم :

- معلوماتنا مؤكدة يا جنرال .. الثعالب على قيد الحياة ، ويستعدون لتوجيه ضربة ثأرية عنيفة .

شحب صوت الجنرال ، وهو يغمغم :

- لمن ؟!

مال (إيتان) نحوه ، مجيبًا بمنتهى الصرامة :

- لك يا جنرال .

حدق فيه (أيكون) مرة أخرى ، بكل توتر الدنيا ، قبل أن يسحب مسدسه فجأة ! ويصوبه إليه ، قائلاً :

- فهمت .

هب (إيتان) في مقعده ، هاتفًا في استنكار :

- ماذا تفعل يا جنرال ؟!

صاح به (أيكون) في وحشية ، وعلى نحو يوحي بأنه لن يقبل أدنى مناقشة :

- إياك أن تنطق حرفًا واحدًا .. أقسم أن أطلق النار بلا رحمة ، لو ندت منك أية حركة .

هتف (إيتان) في غضب :

- جنرال !

صرخ فيه (أيكون) فى ثورة :

ـ اصمت .

ثم شدّ قامته ، وصوّب إليه فوهة مسدسه بامتداد ذراعه ، مكملاً بكل خشونة الدنيا :

ـ اجذب أنفك .

غمغم الإسرائيلى فى دهشة :

ـ أجذب ماذا ؟!

صرخ فيه الجنرال :

ـ أنفك .. اجذبه بكل قوتك ، وإلا أطلقت النار على رأسك مباشرة .. هيا .

وهنا فقط أدرك (إيتان) سر انفعاله ، فأطلق ضحكة ساخرة عالية ، وهو يجذب أنفه فى قوة ، قائلاً :

ـ آه .. اطمئن يا جنرال .. أنا (إيتان كوهين) الحقيقى ، ولست أحد الثعالب .

ازداد انعقاد حاجبى الجنرال ، وخفض فوهة مسدسه فى بطء ، وهو يقول متوتراً :

ـ إذن فالمعلومات صحيحة .

أجابه الإسرائيلى فى حزم :

ـ ومؤكّدة .

امتقع وجه (أيكون) ، وأطلّ من عينيه ذعر شديد ، وهو يقول :

ـ رباه ! سيسعون للانتقام إذن .

غمغم الإسرائيلى :

ـ ليس لدى أدنى شك فى هذا .

قالها ، فران بعدها على الحجرة صمت رهيب ، قطعه الجنرال فجأة ، وهو يلتفت إلى الإسرائيلى بحركة حادة ، متسائلاً :

ـ وهل أخبرتك مصادرك ، أين مكمنهم بالضبط ؟!

شدّ الإسرائيلى قامته ، قائلاً فى صرامة :

ـ ولماذا ؟! لتقيم مجزرة جديدة ؟!

بدا الجنرال أشبه بوحش كاسر بغتة ، وهو يجيب :

- لن أتورع عن هذا لحظة واحدة .. سأبيد (العراق) كله ، لو اقتضى الأمر ، حتى أقضى على هؤلاء العرب .

انعقد حاجبا (إيتان) ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقول فى صرامة :

- الآن عرفت لماذا تخسر معاركك .

زمجر الجنرال فى شراسة ، ولكن الإسرائيلى تابع :

- إنك تفقد عقلك تماماً مع غضبك .

صرخ الجنرال :

- لن أسمح لهم بالبقاء على قيد الحياة ، مهما كلفنى هذا .

أجابه الإسرائيلى فى غلظة :

- حتى مستقبلك وحياتك .

العبارة جعلته يستعيد صوابه ، ويتراجع مغمغماً فى عصبية :

- لا يمكننى أن أتركهم .

أجابه الإسرائيلى فى سرعة :

- فلتجد اللعبة إذن .

تطلع إليه الجنرال فى تساؤل ملهوف ، فتابع فى حزم :

- دعنا نسبقهم بخطوة هذه المرة .

سأله الجنرال فى انفعال :

- وكيف ؟!

أجابه بنفس الحزم :

- بأن نطرح على أنفسنا سؤالاً واضحاً ، يستحق أن نبحث عن جوابه .

ثم مال نحو الجنرال ، مضيفاً :

- تُرى أين ستكون ضربتهم التالية ؟!

وانعقد حاجبا الجنرال بمنتهى الدهشة ..

واستيقظت كل خلية فى عقله ..

فقد كان هذا بالفعل هو السؤال ..

ما هو الهدف التالى للثعالب ؟!

ما هو ..

بالتحديد ؟!

* * *

حمل صوت أحد رجال المخابرات الإسرائيلية ، الذين يعملون تحت قيادة (إيتان كوهين) كل توتره ، وهو ينضم إلى رفاقه التسعة الآخرين ، فى قاعة الاجتماعات الصغيرة ، في ذلك الفندق الشهير ، فى قلب العاصمة (بغداد) ، قائلاً :

ـ عجبًا ! هل دعانا القائد جميعًا إلى هذا الاجتماع ؟!

أجابه أحد زملائه ، وهو ينظف مسدسه :

ـ نعم .. لقد أدهشنا هذا أيضًا ، خاصة وأنه ظل يؤكد دومًا ضرورة عدم تواجدنا معًا ، ولكن أوامره كانت صريحة تمامًا ، عندما أجرى اتصاله بنا ، منذ ساعة واحدة .

غمغم ثالث :

ـ ربما حدث تطوّر مهم فى الأمور ، يستدعى اجتماعه بنا جميعًا .

هزّ الأول كتفيه ، مغمغمًا :

ـ ربما .

ولم يكد ينطقها ، حتى اشتعل الموقف كله بغتة ..

وبلا مقدمات ..

عبر أربعًا من نوافذ قاعة الاجتماعات ، انقض أربعة أسود ..

اقتحمت أجسادهم زجاج النوافذ بغتة ، فى الطابق العاشر من الفندق ، وهبط الأسود الأربعة داخل المكان ..

وقبل حتى أن يستوعب رجال المخابرات الإسرائيلية العشرة ما حدث ، كان الأبطال الأربعة ينقضون ..

ويضربون ..

ويحيطون ..

ويقاتلون ..

ما هو الهدف التالى للثعالب ؟!

ما هو ..

بالتحديد ؟!

* * *

حمل صوت أحد رجال المخابرات الإسرائيلية ، الذين يعملون تحت قيادة (إيتان كوهين) كل توتره ، وهو ينضم إلى رفاقه التسعة الآخرين ، فى قاعة الاجتماعات الصغيرة ، فى ذلك الفندق الشهير ، فى قلب العاصمة (بغداد) ، قائلاً :

ـ عجبًا ! هل دعانا القائد جميعًا إلى هذا الاجتماع ؟!

أجابه أحد زملائه ، وهو ينظف مسدسه :

ـ نعم .. لقد أدهشنا هذا أيضًا ، خاصة وأنه ظل يؤكد دومًا ضرورة عدم تواجدنا معًا ، ولكن أوامره كانت صريحة تمامًا ، عندما أجرى اتصاله بنا ، منذ ساعة واحدة .

غمغم ثالث :

ـ ربما حدث تطور مهم فى الأمور ، يستدعى اجتماعه بنا جميعًا .

هزّ الأول كتفيه ، مغمغمًا :

ـ ربما .

ولم يكد ينطقها ، حتى اشتعل الموقف كله بغتة ..

وبلا مقدمات ..

عبر أربعة من نوافذ قاعة الاجتماعات ، انقض أربعة أسود ..

اقتحمت أجسادهم زجاج النوافذ بغتة ، فى الطابق العاشر من الفندق ، وهبط الأسود الأربعة داخل المكان ..

وقبل حتى أن يستوعب رجال المخابرات الإسرائيلية العشرة ما حدث ، كان الأبطال الأربعة ينقضون ..

ويضربون ..

ويحيطون ..

ويقاتلون ..

قبضاتهم حطمت الفكوك والأنوف بلا هوادة ..

ركلاتهم غاصت فى البطون ..

والصدور ..

والرءوس ..

ولقد حاول الإسرائيليون المقاومة ..

حاولوا حتى الوصول إلى أسلحتهم ..

واستخدامها ..

ولكن أيديهم تكسرت ..

ورءوسهم تحطمت ..

وأنوفهم تفجرت ..

وسقطوا ..

وعندما بدءوا فى استيعاب الموقف ، كانوا مقيدين بإحكام ، إلى بعضهم ، وسط القاعة الصغيرة ، وفوهات المدافع الآلية للأبطال الأربعة مصوبة إليهم ، وصوت (أدهم) الصارم يصك آذانهم ، قائلاً :

- ما فعلناه بكم الآن هو مجرد رسالة .

غمغم أحد الإسرائيليين فى صعوبة ، والدماء تتناثر من بين شفتيه ، من موضع أسنانه المكسورة :

- ولكن كيف ؟! كيف عرفتم شفرة الاتصال السرية .

أجابه (أدهم) بمنتهى الصرامة :

- ربما نعرف أكثر مما تتصورونه .. بكثير .

غمغم إسرائيلى آخر فى ذعر :

- وماذا ستفعلون بنا ؟!

أجابه الأردنى ، فى مقت واضح :

- لو أن الأمر بيدى ، لحصدتكم برصاص مدفعى هذا فى لحظات .

رمقه السورى بنظرة عتاب ، وهو يضيف :

- ولكننا لا نطلق النار على العزل .

مط المغربى شفتيه ، قائلاً :

- لو أنهم فى موضعنا ، لما ترددوا لحظة فى فعل هذا ، دون أن يطرف لهم جفن .

وهنا ، أجابه (أدهم) بمنتهى الصرامة :

- ولكننا لسنا فى موضعهم ، وليسوا فى موضعنا :

تبادل الإسرائيليون نظرة عصبية ، وكلهم يحدقون فى ملامح (أدهم) ، الذى لم يكن يحمل وجهه الحقيقى لحظتها ، ثم تمتم أحدهم فى خفوت :

- ماذا تريدون منا ؟!

أجابه (أدهم) فى خشونة :

- أخبرتكم أنها رسالة .

ثم مال نحو الرجل ، الذى ارتجفت أوصاله ، وهو يحدق فى العينين الغاضبتين أمامه ، مع ذلك الصوت الصارم ، و(أدهم) يتابع :

- أخبروا رئيسكم أنه فى المرة القادمة ، لن نبقى على أحد ، وأنه لو أصر على الحصول على قطعة الأرض ، بين (بغداد) و(يعقوبة) ، فسيحصل عليها .

غمغم الإسرائيلى فى دهشة :

- حقاً !

أجابه (أدهم) بمنتهى الصرامة :

- كقبر له .

ثم اعتدل ، مضيفاً :

- انتهت الرسالة .. هيا يا رفاق .

وعبر النوافذ الأربعة نفسها ، ومن الطابق العاشر للفندق ، خرج الأبطال الأربعة ..

واختفوا فى لحظات ..

تماماً ..

* * *

تراجع مدير المخابرات المصرية فى مقعده فى بطء ، وهو يطالع ذلك التقرير الأخير ، الوارد من (العراق) ، قبل أن يضعه على سطح مكتبه ، ويبتسم ، قائلاً :

- إنه هو .

أجابه معاونه فى حماس :

ـ هذه المرة لم يعد لدى الخبراء أدنى شك .. إنه أسلوب سيادة العميد (أدهم) .

نهض المدير من خلف مكتبه ، قائلاً :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا اختار (العراق) مسرحًا لصراعه ، ولماذا لم يحاول الاتصال بنا ؟!

أجاب المعاون :

ـ حتى تجيب هذه الأسئلة ، أقترح أن نسعى نحن للاتصال به يا سيّدى .

هزّ المدير رأسه ، قائلاً :

ـ لن يكون هذا سهلاً ، فإذا ما قرر (ن ـ ١) الاختفاء ، فما من وسيلة على الأرض ، يمكنها التوصّل إليه .

بدت علامات التفكير على وجه المعاون ، وهو يقول :

ـ لابد من وسيلة ما .

قال المدير فى حسم :

ـ ما لم يسع هو للاتصال بنا ، فلن نجد وسيلة واحدة للوصول إليه .

التقى حاجبا الرجل ، وهو يفكّر مرة أخرى فى عمق ، قائلاً :

ـ لابد وأن تدفعه للاتصال بنا إذن .

تطلّع إليه المدير فى اهتمام ، وهو يقول :

ـ السؤال هو كيف ؟! كيف تدفعه إلى إجراء اتصال ما معنا ، وهو الذى تحاشى هذا طويلاً ؟!

بدت الحيرة على وجه المعاون بضع لحظات ، حتى قال المدير فجأة :

ـ المعلومات .

سأله معاونه فى حذر :

ـ ما الذى يعنيه هذا يا سيّدى ؟!

بدا المدير متحمسًا ، وهو يقول :

- (ن ـ ١) رجـل مخـابرات محنـك ، يدرك جيدًا قيمـة المعلومات ، كأقوى سلاح يواجه به خصومه ، ومن المؤكد أنه يجمع الكثير منها ، قبل أن يضرب ضربته ، فى كل مرة .

سأله المعاون :

- وكيف يمكننا استغلال هذا ؟!

أجابه المدير فى سرعة :

- سننشر الأمر بين صفوف المقاومة العراقية .. سننقل إلى الكل رغبتنا فى الاتصال به ، على نحو يبدو أشبه بشائعة ، لا يمكن تحديد مصدرها ، وعبر خيوطه ، سيلتقط (ن ـ ١) الرسالة حتمًا .

تساءل المعاون فى اهتمام :

- وهل سيجرى اتصاله بنا عندئذ ؟!

صمت المدير بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :

- سيكون هذا قراره .

لم يكد يتم عبارته ، حتى دق باب مكتبه ، فهتف فى حزم :

- ادخل .

دلف مدير مكتبه إلى المكان ، وهو يحمل مظروفًا ، ويقول فى توتر ملحوظ :

- برقية عاجلة من الولايات المتحدة الأمريكية يا سيدى .

التقط مدير المخابرات البرقية ، وفضها فى سرعة ، ومعاونه يتابعه فى اهتمام ، ورآه يلتهم محتوياتها فى سرعة ، قبل أن تتسع عيناه ، وهو يهتف فى انفعال :

- مستحيل !

يسأله معاونه بمنتهى اللهفة :

- ماذا هناك يا سيدى ؟!

رفع المدير عينيه إليه ، وهو يقول فى انفعال جارف :

- هذه المعلومات الجديدة تجعل اتصالنا بـ(ن ـ ١) حتميًا .

سأله المعاون بمنتهى اللهفة :

- أية معلومات يا سيدى ؟!

ناوله المدير البرقية ، وهو يقول :

ـ لابد من إجراء اتصال مع (ن ـ ١) .. هذا سيغيِّر كل شيء حتمًا .

وطالع معاونه البرقية بنفس اللهفة ..

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ..

فالمعلومـة المؤكَّدة ، التى وصلت فجـأة مـن الولايـات المتحدة الأمريكيـة ، كـانت قـادرة علـى تغيير الموقف كلـه بالفعل ..

وبعنف ..

* * *

حلقت تلك الهليوكوبتر الأمريكيـة الكبيرة ، علـى ارتفـاع منخفض ، فوق بقعة مكشوفة ، من أحراش (كولومبيا) ، وراح رجال الكوماندوز يثبون منها ، واحدًا بعد الآخر ، ويتخذون مواقعهم فى سرعة وخفة ، قبل أن ترتفع الهليوكوبتر مبتعـدة ، وتختفى فى الأفق ..

وفى صرامة عسكرية ، قال قائد الكوماندوز لرجاله :

ـ سنقضى ليلتنا هنا يا رجال .. وسيبدأ هجومنا مع نسمات الفجر الأولى .

فرد أحدهم خريطة كبيرة أمامه ، وراح يرسم عليها خطـوط الهجوم ، فى حين تساءل أحد الضباط فى خشونة :

ـ أما زالت أهداف العملية كما هى ؟!

أجابه قائده على الفور :

ـ نعم .. سنهاجم مكمن (بـاولو لامـاس) ، من ثلاثة محاور ، وسنسعى لتحرير الأسرى الأربعة ، الذين يحتفظ بهم .

تساءل الضابط :

ـ هل يشمل الأمر القضاء على (لاماس) نفسه ؟!

صمت قائده بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى صرامة :

ـ كـلا .

أومأ ضابطه برأسه متفهمًا ، وهو يقول :

ـ إذن فستنتهى العملية ، فور استعادتنا للأسرى .

أجابه القائد :

ـ نعم .. الأولوية لاستعادة الأسرى .

انبرى ضابط ثان ، يقول :

ـ لست أظن (لاماس) يسمح لنا بهذا .

سأله قائده فى غلظة :

ـ ماذا تعنى ؟!

أجابه فى سرعة :

ـ أعنى أنه لو أننى فى موضعه ، لاتخذت كل الاحتياطات اللازمة ، لنسف الأسرى نسفاً ، لو أن أحدا يرغب فى الحصول عليهم .

انعقد حاجبا القائد ، وهو يقول فى صرامة :

ـ المعلومات لدى تقول إنه سيحاول الحفاظ عليهم ، حتى آخر رمق .

تساءل الضابط الأول فى اهتمام :

ـ ولكن لو افترضنا أنه لن يمكننا من استعادتهم أحياء ، ماذا ينبغى أن نفعل عندئذ ؟!

اعتدل قائده ، وشد قامته باعتداد ، قبل أن يجيب :

ـ عندئذ سننفذ الأوامر .

تساءل الضابط الثانى :

ـ وما هى ؟!

ازداد انعقاد حاجبى القائد ، وهو يقول بمنتهى الصرامة :

ـ أن يتم تصفية الجميع .. (لاماس) .. ورجاله .. والأسرى الأربعة أيضا ، وبلا رحمة ..

وهنا لم يطرح ضباطه أسئلة جديدة ..

أية أسئلة ..

* * *

« ما حدث مهزلة .. »

نطق الجنرال (أيكون) العبارة ، فى لهجة أرادها صارمة قاسية ، إلا أنها حملت ، على الرغم منـه ، سخريته وشماتته ، وهو يواجه رجل المخابرات الإسرائيلى ، مستطرداً :

ـ رجالك الأقوياء أصبحوا أضحوكة (العراق) كلها ، وخبر ما فعله بهم الثعالب ، تتناقله الألسن فى كل مكان .

احتقن وجه (إيتان) ، وهو يقول فى مقت :

ـ أعلم أن هـذا يسعك يا عزيزى الجنرال ، ولكن ينبغى أن تعلم أن سياستنا تختلف .

ابتسم (أيكون) ، وهو يقول بنفس الشماتة :

ـ لا تقل لى ، إنها تعتمد على تقبل الهزائم بصدر رحب !

ضغط (إيتان) أعصابه ، بكل ما يملك من إرادة ، وهو يجيب :

ـ كلاّ يا جنرال ، ولكنها تعتمد على مبدأ الاستفادة من الكوارث .

غمغم (أيكون) فى سخرية :

ـ حقًا ؟!

أجابه (إيتان) فى حزم :

ـ نعم .. حقًا يا جنرال .. لقد طورت هذا الأسلوب فى إدارتى ، وأجريت عليه بضع تجارب ، أثبتت نجاحه الفائق .

هزّ الجنرال كتفيه الضخمين ، وهو يقول :

ـ هل المفترض أن أشعر بالانبهار ؟!

أجابه (إيتان) فى غلظة :

ـ بل أن ترهف سمعك ، وتنصت لما سأقوله جيدًا .

هزّ الجنرال كتفيه مرة أخرى فى استهتار ، وهو يقول :

ـ كلى آذان مصغية .

مال (إيتان) إلى الأمام ، وهو يقول فى حزم :

ـ الواقع أننى كنت أتوقع ما حدث .

حمل وجه الجنرال (أيكون) ابتسامة كبيرة ساخرة ، فتابع (إيتان) فى شىء من العصبية :

ـ ربما لم أتوقع الوسيلة التى حدث بها ، ولكننى كنت أدرك أن خصومنا من الذكاء ، بحيث سيستوعبون الموقف كله ، ويحاولون توجيه ضربتهم الأولى لنا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ ولهذا استخدمت مراقبين سريين .

وهنا ، تساءل الجنرال فى اهتمام :

ـ حقًا ؟!

أضاف (إيتان) ، وقد شعر ببداية سيطرته على الموقف :

- وعبر اتصالات مباشرة ، مع قيادتك فى (واشنطن) ، استخدمنا أقمار التجسس الأمريكية ؛ لرصد وتصوير المنطقة كلها ، عندما وقع هجوم الثعالب .

اعتدل الجنرال على مقعده ، عند هذه النقطة ، وبدا شديد الاهتمام ، وهو ينصت إلى الإسرائيلى ، الذى تابع :

- ومع هذا وذاك ، أمكننا أن نتتبع الثعالب ، بعد أن أنهوا هجومهم .

هتف (أيكون) فى انفعال :

- وهل عرفتم مكمنهم ؟!

تألقت عينا (إيتان) ، وهو يشد قامته ، مجيبًا فى حزم :

- بالتأكيد .

لثوان ، ظلّ الجنرال يحدق فيه مبهوتًا ، قبل أن ينتفض جسده كله فى عنف وانفعال ، وهو يهتف :

- أين .. أين يختفون ؟!

زمجر (إيتان) ، وهو يقول فى شىء من الشراسة :

- لن تدير العملية هذه المرة .

صاح به الجنرال فى غضب :

- ماذا تعنى أيها الإسرائيلى ؟!

أجابه (إيتان) ، فى شراسة شديدة :

- أعنى أن قيادتى قد عقدت صفقة مع قيادتك ، أصبحت بموجبها المسئول الوحيد ، عن التعامل مع أولئك الثعالب ، والسعى لاصطيادهم بأى ثمن .

احتقن وجه (أيكون) بمنتهى الشدة ، وبدا لحظة أنه سينفجر فى وجه الإسرائيلى كبركان ثائر ، إلا أنه لم يلبث أن تمالك نفسه ، وقال فى عصبية :

- المهم أن يتم القضاء عليهم .. بأى ثمن .

كان من الواضح أنه يضمر شيئًا ما فى أعماقه ..

ولكن الإسرائيلى لم يبال ..

فلأوّل مرة ، منذ بدأ كل هذا ، يصبح واثقًا من انتصاره ..

ومن قدرته على اقتناص ثعالب المخابرات العربية .

جميعهم ..

* * *

٦ - هجـــوم ..

دفع وزير الدفاع الأمريكى ورقة مطبوعة ، تحمل الشعار الرسمى لجيش الولايات المتحدة الأمريكية ، أمام الرئيس ، الذى انعقد حاجباه ، وهو يتطلع إليها فى توتر حذر ، متسائلاً :

- ما هذا بالضبط ؟!

اعتدل وزير الدفاع ، وهو يجيب :

- قوتنا فى (كولومبيا) اتخذت مواقعها ، وتنتظر الأمر بالهجوم .

قال الرئيس فى عصبية :

- وما شأن هذا بهم ؟!

أشار وزير الدفاع إلى الورقة ، قائلاً :

- هذا هو الأمر الرسمى بالهجوم ، عليك أن توقعه ، و ...

« كلاً .. »

قاطعه الرئيس بالكلمة ، فى حزم عصبى ، قبل أن يزيح الورقة جانبًا ، ويكمل فى توتر :

- لن أوقع مثل هذا الأمر أبدًا ..

شد وزير الدفاع قامته ، وعدل منظاره على وجهه ، وهو يقول مستنكرًا ، فى لهجة مفتعلة :

- لن توقعه ! ولكن الهجوم لايمكن أن يتم ، دون أن تصدر الأمر بذلك يا فخامة الرئيس .

قال الرئيس فى حدة :

- وماذا عنك ؟! أنت وزير الدفاع ، والمسئول عن أية قرارات هجومية ، تخص جيش الولايات المتحدة .

رمقه وزير الدفاع بنظرة باردة ، وهو يقول :

- خطأ يا سيادة الرئيس .. أنا مسئول فقط عن تنفيذ أوامرك فى هذا الشأن ، أما اتخاذ القرار فهو منوط بالكونجرس ، الذى فوضك فى هذا الشأن ، منذ أزمة (العراق) .

بدا الرئيس غاضبًا ، وهو يقول :

- ولماذا لم تقل هذا من قبل ؟!

هزّ وزير الدفاع كتفيه ، قائلاً :

ـ لقد نفـذت أوامـرك ، وأرسـلت الرجـال إلى أدغـال (كولومبيا) ، ولكن شن القتال هناك أمر آخر ، فلن يمكننى تبرير الموقف لو ...

قاطعه الرئيس فى عصبية :

ـ لو فشلت العملية .. أليس كذلك ؟!

حاول وزير الدفاع أن يخفى ابتسامته ، وهو يقول :

ـ أنا لم أقل هذا .

احتقن وجه الرئيس الأمريكى فى غضب ، ونهض من خلف مكتبه ، وهو يقول فى حدة :

ـ كان ينبغى أن أدرك هذا منذ البداية .. كان ينبغى أن أدرك أن كلاً منكم يسعى لحماية نفسه وتأمينها فقط .. لا أحد يبالى بالمصالح المشتركة ، كما تدعون دائمًا .

غمغم وزير الدفاع :

ـ سيادة الرئيس .. إنها مجرّد تصرفات قانونية ..

صاح به الرئيس فى غضب :

ـ وماذا لو رفضتها ؟!

حمـل صـوت وزير الدفاع كل الصرامة ، التى ارتسمت على ملامحه ، وهو يواجه الرئيس ، قائلاً :

ـ سيكون عليك فى هـذه الحالة ، أن تبرر لمستر (X) ، وأن تتحمل عواقب عدم تنفيذ الهجوم .

احتقن وجـه الرئيس الأمـريكى أكثر وأكثر ، وراح يدير الأمر فى رأسه ، على كل الوجوه ، ويقارن بين قدرته على إقناع الكونجرس ، وعواقب كشف مستر (X) للاتفـاق ، الذى عقده مع الإدارة الأمريكية ..

ثم ، وبكل العصبية ، اندفع نحو مكتبه ، وجـذب ذلك الأمر ، وذيله بتوقيعه ، وألقاه إلى الوزير ، قائلاً :

ـ نفـذ .

وابتسم الوزير ، وهو يطوى الورقة ، ويدسها فى جيبه ، قائلاً :

ـ فليكن يا سيادة الرئيس .

وكان هذا يعنى تنفيذ الهجوم هناك ..

فى أحراش (كولومبيا) ..

* * *

قبل أن يبزغ أول شعاع للشمس ، وسط أحراش (كولومبيا) ، تحرك فريق الكوماندوز الأمريكى ..

تحركوا بمنتهى الخفة ، والمهارة ، والحذر ، عبر الأحراش المتشابكة ..

ودون تبادل كلمة واحدة ، راح قائد الفريق يلقى أوامره إلى ضباطه ، الذين انتشروا ، وفقًا لخطة الهجوم ، لتطويق ثكنات (باولو لاماس) من ثلاثة محاور ..

ووفقًا لتكنيك دقيق ، تم حصار المنطقة كلها ، فى براعة تامة .

وكمن الرجال فى أماكنهم صامتين ساكنين ، يرصدون المكان بمنتهى الدقة ..

ومنتهى الحذر ..

كان من الواضح أن إمبراطور المخدرات الكولومبى مستعد تمامًا ، لمثل هذا الهجوم ؛ فقد وزع رجاله على نحو دقيق ، وكل منهم مسلح بعدد من القنابل اليدوية ، ومدفع آلى قوى ، من أحدث الطرز ..

كما كانوا يتحركون فى إيقاع منتظم ، بحيث يمكنهم رصد المنطقة المحيطة بالثكنات ، من كل الاتجاهات ، وطوال الوقت ..

النقطة الإيجابية الوحيدة ، هى أنهم لم ينتبهوا لوجود فريق الكوماندوز ..

وهذا يعنى أن الأمريكيين يمسكون زمام المبادرة ..

ويملكون القدرة على المفاجأة ..

وفى عمليات كهذه ، يربح المفاجئ نصف القتال ، مع الهجوم الأول ..

لذا فقد تأهب الأمريكيون ..

وتحفزوا ..

وتحركوا لاتخاذ المواقع ، التى تدربوا عليها ..

كانوا يتحركون بمنتهى الخفة ، ووفقًا لخطة متقنة ..

ولكن ساق أحدهم ارتطمت بخيط رفيع ..

خيـط يمتد من جذع شجرة إلى أخرى ، ويختفي وسط الأغصان والأعشاب المتشابكة ..

ومـع ارتطـام الأمريكي بـالخيط ، انتزع دون أن يقصد ، فتيل قنبلة يدوية خفية ..

ولأنه محترف ، ومدرب جيدًا ، فقد أدرك ما حدث ، فور حدوثه ، لذا فقد وثب إلى الخلف بكل قوته ، هاتفًا :

ـ فـخ .

ومع هتافه ، دوى الانفجار ..

انفجرت القنبلة اليدوية في عنف ، وأطاحت برجل آخر ..

وأشعلت فتيل الموقف كله دفعة واحدة ..

بل أشعلت الجحيم ..

الجحيم نفسه ..

* * *

لأول مرة في حياتهـا ، شـعرت الصينيـة الحسناء (تيا) بإرهاق عنيف ، جعلهـا عاجـزة عن ترتيب أفكارها ، وهـي تجلـس فـي منتصـف تلـك الحجـرة الصغيرة ، وصـورة مستر (X) تملأ الشاشة أمامها ، وهو يقول :

ـ هـل أيقنـت الآن مـن أن الخـروج مـن هـذا المكـان مستحيل !

حاولت أن تفتح عينيها في صعوبة ، وهي تقول :

ـ ولمـاذا تحتجزنـي فيـه طـوال الوقـت ؟! هـل قررت أن تقتلني جوعًا وعطشًا ؟!

أجابها في غلظة وخشونة :

ـ بل قررت أن أجبرك على قول الحقيقة .

قالت في تهالك :

ـ لقد أخبرتك بها .

أجاب في سرعة وصرامة :

ـ ليس كلها .

لهثت من فرط الإجهاد والانفعال ، وبدا لها أنها تخوض معركة خاسرة بلا أمل ، فتمتمت :

ـ ما الذى تريد معرفته بالضبط ؟!

اعتدل على مقعده ، قائلاً :

ـ ما مصير (أدهم صبرى) ؟!

فكرت لحظة فى المراوغة ، إلا أن ما تشعر به من تهالك ، جعلها تقول فى خفوت :

ـ لست أدرى .

تألقت عيناه ، وهو يقول :

ـ إذن فأنت لم تخرجيه من تلك الممرات .

قالت فى توتر :

ـ لقد حاولت ، ولكنه كان ثقيل الوزن بالنسبة إلىّ ، كما أن الحرارة كانت مرتفعة للغاية .

سألها :

ـ ماذا فعلت إذن ؟!

ازدردت لعابها فى صعوبة ، وأجابت :

ـ هربت .

سألها فى اهتمام :

ـ مع رفاقه .

بدا له أن حواسها قد انتبهت على نحو ما ، وهى تجيب :

ـ كنت قد نقلتهم بالفعل إلى تلك الغوّاصة ، وكان من الحماقة أن أتركهم خلفى .

اعتدل يسألها :

ـ ولماذا ؟!

أسبلت جفنيها فى إرهاق ، وهى تجيب :

ـ كنت أعلم كم سيساوون فيما بعد .

قال فى خشونة :

ـ (أدهم) كان سيساوى أكثر حتمًا .

صمتت لحظة ، ثم أجابت :

- لم يكن لدى خيار .

كانت قصتها تبدو أكثر منطقية هذه المرة ، إلا أنها فجرت داخله تساؤلات عديدة جديدة ..

تساؤلات ضاعفت من قلقه ألف مرة ، وهو يقول :

- إذن فقد كانت هناك بالفعل شبكة ممرات هروب مؤمّنة ، ومقاومة للانفجار ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، فتطلّع إليها بضع لحظات فى صمت ، عبر أجهزة الرصد الدقيقة ، ثم لم يلبث أن قال فى صرامة :

- والزعيمة كانت تعلم هذا .

غمغمت :

- بالتأكيد .

اعتدل ، قائلاً فى غضب :

- إذن فقد نجت أيضًا .

انتبهت حواس (تيا) كلها هذه المرة ، واعتدلت فى صعوبة ، تحدق فى الشاشة ، وكأن الاحتمال لم يرد فى ذهنها أبدًا ..

أما هو ، فقد فجرت الفكرة فى أعماقه غضبًا بلا حدود ، وتوترًا يتجاوز كل المستويات ..

لو أن (أدهم) ورفاقه قد نجوا ، فهذا يعنى أن الزعيمة أيضًا قد نجت ..

لقد أنشأت شبكة الممرات المؤمّنة ..

وهى تحفظها عن ظهر قلب حتمًا ..

ومن المحتم أنها لم تتوان فى استخدامها للنجاة !

براعتها ، التى يعرفها جيدًا ، تحتم عليها أن تفعل ..

وهذا يتوافق مع المعلومات ، التى وصلته أخيرًا ..

المعلومات ، التى تؤكد ظهور امرأة غامضة ، فى قلب عالم العصابات فى (موسكو) ، تبحث عن تمويل لإنشاء كيان ضخم ..

أو لاستعادة كيان ضخم ..

ضخم للغاية !

وهذا سيستتبع حتمًا القضاء على الكيانات المنافسة .

كل الكيانات المنافسة ..

« أنت تعرفين أكثر مما قلت .. »

نطق عبارته في شراسة شديدة ، أثبتها خوفه على مصير منظمته ، فلوّحت (تيا) بيدها ، قائلة في إرهاق :

ـ لم يعد لدى ما أضيفه .

صمت بضع لحظات ، ثم قال في صرامة :

ـ ربما ليس بعقلك الواعي .

تمتمت في حيرة :

ـ ماذا تعني ؟!

بدا صوته قاسيًا كالفولاذ ، وهو يقول :

ـ أعني أنه مازالت لدينا وسائل أخرى ؛ للتعامل معك .. وسائل غير تقليدية .. على الإطلاق ..

وانهار كيان الصينية الحسناء ..

في عنف ..

* * *

دلف الأردني (وجيه الهاشمي) في خفة ، إلى ذلك المخبأ الخاص ، وأغلق بابه خلفه ، وهو يقول :

ـ السوق مكتظ بالأحاديث اليوم .

سأله السوري في اهتمام :

ـ هل من جديد ؟!

أجابه ، وهو يلقي جسده على أقرب مقعد إليه :

ـ بالتأكيد .

بدا الاهتمام على المغربي ، وترك ما يعمل به ، ليسأله :

ـ ما الجديد ؟!

اعتدل الأردني ، قائلاً :

ـ رجل المخابرات الإسرائيلي ذهب للقاء الجنرال (ليكون) في مكتبه ، وهذا يعني بدء تعاون شرير جديد .

غمغم السوري :

ـ كان هذا متوقعًا .

تابع الأردني :

ـ ويقولون إن طاقم (الوساد) ، الذى أذللنا ناصيته ، قد غادر (بغداد) ، عائداً إلى (تل أبيب) ، وأن هناك طاقماً جديداً فى الطريق .. طاقماً أكثر كفاءة .

جذب الخبر اهتمام وانتباه السورى والمغربى معاً ، وتساءل الأول :

ـ هل من تأكيد لهذه المعلومة ؟!

هزّ الأردنى رأسه ، مجيباً :

ـ ليس بعد ، ولكنها تتردد بشدة ، فى كل المحافل .

قال المغربى فى حزم :

ـ المعلومات السمعية من مصدر واحد لا يمكن الاعتماد عليها بصفة مؤكدة .. هذا ما تعلمناه .. نحتاج إلى تأكيد من مصدر آخر ، أو إلى دليل بصرى ثابت على الأقل .

غمغم الأردنى :

ـ سأسعى للحصول على هذا .

قال المغربى :

ـ علينا كلنا أن نفعل .

ساد صمت قصير ، بعد عبارته الأخيرة هذه ، ثم لم يلبث الأردنى أن قطعه ، وهو يقول :

ـ هناك أمر آخر .

نطقها على نحو جعل رفيقيه يدركان أهمية ما لديه ، فاستدارا إليه معاً بعينين متسائلتين ، جعلتاه يتابع :

ـ يتردد بشدة أن المخابرات المصرية تبحث عن أحد رجالها ، الذى فقد فى الأطلنطى ، ولكنها تتوقع وجوده هنا .

تبادل الرجلان نظرة متوترة ، قبل أن يتساءل السورى فى حذر :

ـ وكيف ترددت معلومة كهذه ؟!

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ لا أحد يمكنه تحديد المصدر بالضبط ، ولكن الأمر يرتبط برغبة المصريين فى الاتصال برجلهم .

عاد الآخران يتبادلان نظرة متوترة ، قبل أن يتساءل المغربى :

ـ هل نخبره ؟!

أجابه السورى بمنتهى الحزم :

ـ بالتأكيد .

ثم استدار إلى الأردنى ، مضيفًا :

ـ عليك أن تخبره أنت ؛ فلديك كل التفاصيل .

توقف ثلاثتهم لحظة ، وكأنما من العسير عليهم اتخاذ القرار ، ثم لم يلبث السورى أن حسم الأمر ، وهو يقول فى اقتضاب :

ـ هيا .

قالها ، فاتجه ثلاثتهم نحو حجرته ، وطرق السورى الباب ، قائلاً فى لهجة ، يتقاطر منها الاحترام :

ـ هل يمكننا الدخول يا أستاذ ؟!

ولم ينتبه (أدهم) إلى طرقاته الأولى ..

كان شاردًا تمامًا ، وهو غارق مع ذكريات واهنة ، يحاول استعادتها منذ فترة طويلة ..

الحرارة ترتفع ، وترتفع ، داخل تلك الممرات السرية ، فى قلب جزيرة الزعيمة ..

وعقله مشوش للغاية ..

لا أحد من حوله ..

لا أحد على الإطلاق ..

ثم ظهرت تلك المرأة ..

ليست (ثيا) ..

ليست ضئيلة صغيرة مثلها ..

امرأة قوية ، جذبته فى حزم ، لتنقله إلى عربة صغيرة ، أشبه بتلك التى تستخدم فى ملاعب الجولف .

وحاول هو أن ينهض ..

أن يتماسك ..

ويقاوم ..

ولكنه كان ضعيفًا للغاية ..

ضعيف إلى حد يعجز معه عن فتح جفنيه ..

وعبر الممرات الساخنة ، انطلقت تلك السيارة الصغيرة ..

وانطلقت ..

وانطلقت ..

والحرارة ترتفع ..

وترتفع ..

وترتفع ..

وغمر العرق وجهه ..

وجسده ..

وكيانه كله ..

ثم شعر بيد أنثوية تتحسس جبهته ..

وبعدها أظلمت الدنيا ..

تمامًا ..

« أستاذ .. »

انتزعته الكلمة هذه المرة من شروده ، فاعتدل ، قائلاً ، فى هدوء يغلب عليه طابع الحزن :

ـ تفضّل .

دلف رجال المخابرات العربية الثلاثة إلى الحجرة ، وقال السورى :

ـ زميلنا (وجيه) لديه ما يخبرك إياه يا أستاذ .

أدار (أدهم) عينيه إلى الأردنى ، الذى تنحنح ، قائلاً :

ـ الواقع أنها معلومات جمعتها من الأسواق ..

وراح يروى كل ما لديه ، حول رغبة المخابرات المصرية فى الاتصال برجلها ..

واستمع إليه (أدهم) ..

استمع إليه جيدًا ، ودون أن يقاطعه بحرف واحد ..

وعندما انتهى الأردنى من روايته ، ران على الحجرة صمت مهيب ..

صمت ، تعلقت خلاله عيون الرجال الثلاثة بوجه أستاذهم (أدهم) ، الذى التقى حاجباه ، وشفت ملامحه على أنه يدرس الموقف جيدًا ؛ لاتخاذ قرار حاسم بشأنه ..

فمنذ جاء إلى (العراق) ، قرر أن تكون هذه معركته وحده ..

معركة رجل واحد ، لا ينتمى إلى أية جهة رسمية ..

رجل ، تؤكد كل الأوراق الرسمية ، أنه لم يعد على قيد الحياة ..

أو على لائحة العمل ..

أى عمل ..

رجل يمكنه أن يفعل كل ما يريد ، دون أن يضع أية أجهزة أخرى فى حرج ..

أى نوع من الحرج ..

لهذا تحاشى الإعلان عن عودته ..

أو حتى عن وجوده على قيد الحياة ..

أما الآن فوطنه يبحث عنه ..

ويسعى إليه ..

ويناديه ..

وهو لم يعتد أبدًا تجاهل نداء الوطن ..

أبدًا ..

لذا ، فقد رفع عينيه إلى تلامذته ورفاقه الثلاثة ، قائلاً فى خفوت ، حمل كل حزم الدنيا :

ـ فليكن .

ولم يعلق الرجال الثلاثة على قوله هذا ..

ولكنهم أيقنوا من أنه قد اتخذ قرارًا حاسمًا ..

للغاية ..

* * *

مع دوى الانفجار الأول ، وثب (باولو لامـاس) ، إمبراطور المخدرات فى (كولومبيا) من فراشه ، واختطف مدفعه الآلى ، صارخًا :

ـ هجـوم .

ووفقًا لخطة مسبقة ، بدأ رجاله فى إطلاق النار فورًا ..

وبغزارة ..

وكان من الطبيعى أن يتبادل رجال الكوماندوز الأمريكيين معهم النيران ..

والرصاصات ..

والقنابل ..

لذا فقد تحولت الأحراش بغتة ، إلى قطعة من الجحيم ..

كان الطرفان يقاتلان فى استماتة ، مع الفارق الرئيسى ، الذى يتمثل فى الهوة الواسعة ، بين نظامى التدريب ، العسكرى والعشوائى ..

فنيران رجال (باولو) كانت أكثر كثافة ..

ولكن رصاصات رجال الكوماندوز كانت أكثر دقة ..

ثم إنهم قد تدربوا جيداً ..

وعلى أيدى خبراء ..

لذا فقد راحوا يتقدمون نحو ثكنات (لاماس) ، من ثلاثة محاور ، ويسيطرون على الموقف رويداً رويداً ..

وهذا ما أدركته (لوتشيا) ، وهى تصرخ فى عصبية :

- إنهم يتقدمون .

شعر (لاماس) بغضب هادر ، وهو يصرخ :

- وهذا يعنى أننا لانقاتل كما ينبغى .

صرخت :

- هل يعنى هذا أننا سنخسر المعركة ؟!

صرخ بدوره ، فى غضب هادر :

- ليس بعد .

قالها ، ووثب عبر حجرته ، وتجاوز شريطاً من النيران ، وهو يعدو نحو كوخ الاتصالات ، ليقتحمه بمنتهى الخفة ، ثم ينقض على جهاز صغير فيه ، هاتفاً :

- لو أنهم يصرون على إشعال الجحيم ، فلنواجهه جميعاً إذن ..

ومع قوله ، ضغط كل أزرار ذلك الجهاز الصغير دفعة واحدة ..

وهنا دوت الانفجارات ..

انفجار تلو آخر ..

وآخر ..

وآخر ..

ومع كل انفجار ، كانت شجرة كبيرة تسقط ..

شجرة وراء أخرى ..

وأخرى ..

وأخرى ..

وعلى رءوس رجال الكوماندوز الأمريكيين ، هوت الأشجار ..

والرصاصات ..

والقنابل ..

ولكنهم لم يتراجعوا ..

ولم يتوقفوا ..

ومن كل صوب ، انهالت نيرانهم على (باولو) ورجاله ، حتى أن (لوتشيا) راحت تصرخ :

ـ فلنهرب يا (باولو) .. لقد خسرنا المعركة .

تفجر غضب هائل ، فى كل ذرة من كيان إمبراطور المخدرات الأمريكى ، ورفضت أعماقه المتغطرسة قبول فكرة الهزيمة ، فصرخ :

ـ الأسرى ..

صاحت به (لوتشيا) :

ـ هل تستخدمهم كدروع ؟!

هز رأسه فى قوة ، صارخاً :

ـ كلا .. لقد جاءوا من أجلهم .. ولن يحصلوا عليهم أبداً .. ليس وهم أحياء .

وفهمت (لوتشيا) ما يعنيه هذا القول تماماً ..

وبكل الحزم ، جذبت إبرة مدفعها الآلى ..

واندفعت لتنفيذ الأمر ..!

لإعدام الأسرى الأربعة ..

بلا رحمة ..

* * *

^RAYAHEEN^
www.liilas.com/vb3

٧- الحصـــار..

على الرغم من الطابع الهادئ الرصين ، الذى تتميز به المخابرات المصرية فى المعتاد ، فقد بدا المعاون الأول للوزير شديد الانفعال والتأثر ، وهو يدخل مكتب هذا الأخير ، هاتفًا :

ـ الاتصال يا سيّدى .

اعتدل مدير المخابرات بحركة حادة ، هاتفًا فى انفعال مماثل :

ـ هل تم ؟!

لوّح المعاون بورقة فى يده ، مجيبًا :

ـ لقد حصلنا على رسالة واضحة .

اختطف مدير المخابرات الورقة اختطافًا ، والتهم كلماتها القليلة ، فى لهفة ما بعدها لهفة ..

كلمات مدروسة ، دقيقة ، تحمل التوقيع الكودى لـ (أدهم صبرى) ، مع أكواد اتصال خاصة ، مكتوبة بشفرة لا يستخدمها إلا كبار ضباط الجهاز ..

ولقد قرأ المدير الورقة مرة ..

وثانيـة ..

وثالثـة ..

ورابعة ..

وخامسة أيضًا ، قبل أن يضعها على سطح مكتبه ، ويتراجع فى مقعده ، ويلتقط نفسًا عميقًا ، مسبلاً جفنيه ، وهو يتمتم :

ـ إنه حى حمدًا لله .

تساءل المعاون فى انفعال :

ـ لماذا لم يحاول الاتصال بنا من قبل إذن ؟!

أجابه المدير ، وهو ينهض من خلف مكتبه :

ـ من المؤكد أنه كانت لديه أسبابه .

ووقف لحظة أمام النافذة ، قبل أن يضيف :

ـ المهم أنه حى .

ران عليهما الصمت بعدها لحظات ، قبل أن يتساءل المعاون فى اهتمام مشوب بالحماس :

- هل نطلب منه العودة ؟!

صمت المدير بضع لحظات أخرى ، قبل أن يجيب فى حزم ، وهو ما زال يتطلع عبر نافذته :

وصمت لحظة أخرى ، ثم استدار إلى معاونه ، مضيفًا :

- ولكن أجر اتصالاً معه فورًا .

تساءل المعاون :

- وما الذى نخبره فيه ؟!

طال صمت المدير هذه المرة ، قبل أن يقول فى حزم :

- أخبره ما وصلنا من الولايات المتحدة الأمريكية .. من حقه أن يعلم .

وشعر المعاون بتوتر شديد ، يسرى فى أعماقه ..

فالمعلومات الواردة من (أمريكا) ، كانت كفيلة بأن تقلب حياة (أدهم صبرى) كلها ، رأسًا على عقب ..

حتمًا ..

* * *

انعقد حاجبا (أبل كورلوفا) ، زعيم (المافيا) الروسية الجديد فى حذر واضح ، وهو يتأمل تلك الحسناء ، الجالسة أمامه فى هدوء ، قبل أن يميل نحوها ، ويسألها فى خشونة ، بلغته الروسية الفظة :

- ألا تشعرين بالخوف يا سيدتى ؟!

أجابته بروسية سليمة تمامًا ، وبنفس الهدوء المستفز :

- ولِمَ ؟!

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يعتدل ، قائلاً فى شراسة :

- إنك تجلسين أمام أقوى رجل ، فى (روسيا) كلها .

أحنقته تلك اللمحة الساخرة ، التى ارتسمت على طرف ابتسامتها ، والتى اختفت فى سرعة ، خلف صوتها البارد ، والتى تقول :

- أينبغى أن يبث هذا الرعب فى أوصالى ، أم أن يشعرنى بالراحة والاطمئنان ؟!

لم يستوعب عبارتها بالضبط ، إلا أنه لوّح بكفه فى عظمة ، قائلاً :

- هل تنشدين حمايتى ؟!

أشارت بيدها ، وهى تجيبه بنفس الروسية السليمة :

ـ لست أحتاج إليها فى الواقع .

عاد الغضب يتسلل إليه ، وهو يقول فى حدة :

ـ لماذا أتيت إذن ؟!

تطلعت إليه بضع لحظات فى صمت ، قبل أن تميل نحوه ، وتسأله فجأة :

ـ كم تربح سنويًا يا (كورلوف) ؟!

باغته سؤالها ، وأثار فى نفسه توترًا لا محدودًا ، جعله يقول بمنتهى الحذر والعصبية :

ـ وما شأنك أنت ؟!

كررت سؤالها فى شىء من الصرامة :

ـ كم تربح سنويًا ؟!

لم يكن من الممكن أبدًا ، فى أية ظروف عادية ، أن يخضع (أبل كورلوف) ، الذى ترتجف لذكر اسمه قلوب أعتى الرجال لامرأة جميلة ، مهما بلغت فتنتها ، إلا أنه ، ولسبب ما ، وجد نفسه يجيب فى عصبية :

ـ ما يقرب من المليار دولار .

تراجعت فى مقعدها ، متمتمة فى سخرية :

ـ فقط ؟!

احتقن وجهه فى غضب ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـ ومن أنت حتى ....

قاطعته فى صرامة عجيبة :

ـ لقد تجاوز دخلى ، فى هذا العام فقط ، المائة مليار .

بهره الرقم ، فاتسعت عيناه عن آخرهما ، وسقط فكه السفلى ، على نحو مضحك ، جعلها تبتسم فى أعماقها بسخرية ، وبخاصة عندما ردد مبهوتًا :

ـ مائة مليار ؟!

هزت كتفيها فى لامبالاة ، قائلة :

ـ كان يمكن أن يتضاعف الرقم ، لولا حادث طارئ .

لم تحاول شرح طبيعة ذلك الحادث ..

ولم يحاول هو أن يسألها ..

كل ما فعله هو أن حدق فيها طويلاً ، قبل أن يسألها بأنفاس مبهورة :

ـ ماذا تريدين منى يا سيدتى ..

فى هذه المرة ، حمل صوته وأسلوبه احتراماً واضحاً ، جعلها ترفع رأسها وصوتها فى اعتداد ، وهى تجيب :

ـ لقد فقدت الكثير من الرجال ، فى تلك الحادث الأخير .

همس فى انفعال :

ـ هل تبحثين عن الرجال ؟!

أجابته بمنتهى الحزم :

ـ وسأدفع بسخاء .

ازدادت أنفاسه انبهاراً ، وهو يسألها :

ـ كم تعرضين ؟!

أجابته فى سرعة وحزم :

ـ ضعف ما تربحه فى عام كامل .

كاد الرقم يصيبه بأزمة قلبية ، وهو يتطلع إليها ، ويلهث على نحو عجيب ، كما لو أنه قد بذل جهداً هائلاً ، مما أورثها

شعوراً بأنها قد أصبحت المسيطرة فعلياً على الموقف ، فخلعت أحد قفازيها ، وقالت فى صرامة :

ـ أريد الرجال بأقصى سرعة ، فالدقيقة لها ثمنها ، فى عالمنا هذا .

سألها فى صعوبة :

ـ ومتى تريدينهم ؟!

شدت قامتها ، وهى تنهض ، قائلة :

ـ غداً صباحاً .

سألها ، وهو ينهض بدوره :

ـ أين ؟!

تطلعت إليه لحظة ، قبل أن تجيب :

ـ فى مقر قيادتى الجديد .

وصمتت لحظة ، ثم أضافت بمنتهى الحزم :

ـ فى (سيبيريا) .

وأدرك زعيم (المافيا) الروسية ، أنه أمام امرأة رهيبة .

امرأة تفوق كل من عرفهن ، فى حياته كلها .

وبكل انبهاره ، تمتم :

ـ ماذا أصاب النساء ؟!

رفعت عينيها إليه ، متسائلة :

ـ وماذا أصابهن ؟!

غمغم :

ـ صرن أقوى من الرجال .

صمتت طويلاً هذه المرة ، وهى تتطلع إلى عينيه مباشرة ، ثم عادت ترتدى قفازها ، وهى تقول ، فى بطء وحزم :

ـ ربما الرجال هم الذين لم يعودوا كما ينبغى أن يكونوا عليه .

ولم ترق له عبارتها ..

ولكنها انصرفت ، دون أن تلتفت إليه ..

أو تحاول تفسير ما قالته ..

ومع انصرافها ، أدرك (أبل كورلوف) أن الأمور فى (سيبيريا) لن تعود أبدًا كما كانت ..

فامرأة كهذه ، كفيلة بإذابة الثلوج ..

كل الثلوج ..

* * *

« لقد نجت .. أليس كذلك ؟! »

عندما ألقى مستر (X) سؤاله هذا ، كان التعب قد بلغ من (تيا) مبلغه بالفعل ، حتى إنها تمنت أن تموت ؛ لترتاح من هذا العذاب ، الذى لاينتهى أبدًا ..

ولقد حاولت أن تتجاهل السؤال ..

أو تتظاهر بعدم سماعه ..

ولكن مستر (X) كرره آليًا مرة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وخامسة ..

و ....

« كفى .. »

هتفت (تيا) بالكلمة ، وهى على وشك الانهيار ، فتوقف مستر (X) ، ثم سألها فى صرامة :

ـ ما جوابك .

ازدردت (تيا) لعابها فى صعوبة ، قبل أن تومئ برأسها ، متمتمة فى تهالك شديد :

ـ نعم .. لقد فعلت .

وعلى الرغم من توقعه الجواب ، شعر مستر (X) بتوتر شديد ، يسرى فى كل ذرة من كيانه ، ويطلّ واضحاً من صوته المعدل آلياً ، وهو يقول :

ـ فعلت ماذا ؟!

لوّحت (تيا) بيدها لحظة ، قبل أن تجيب :

ـ نجت .

تراجع فى مقعده بحركة حادة ، هاتفاً :

ـ نجت ؟!

نطقها كما لو أن الجواب قد صدمه فى عنف ، ولكن (تيا) لم تشعر بانفعاله هذا ، وهى تغمغم :

ـ نعم .. نجت .

جفّ حلقه ، على نحو غير مسبوق ، وهو يسألها :

ـ وكيف فعلت ؟!

هزّت (تيا) رأسها نفياً ، مجيبة :

ـ لست أدرى .

صاح بها فى غضب :

ـ ماذا تعنين ؟! لقد أجبت منذ لحظة أنها قد نجت !

سعلت فى إرهاق ، قبل أن تقول :

ـ لقد نجت بالتأكيد ، إلا أننى لا أعلم كيف فعلت هذا ! كانت لديها حتماً وسيلة ما .

قال فى عصبية :

ـ لست واثقة إذن .

أجابت ، وهى تقاوم حالة فقدان الوعى :

ـ بل واثقة .

سألها فى صرامة :

- وكيف هذا ؟!

بدا لحظة وكأنها قد فقدت وعيها بالفعل ، قبل أن ترفع عينيها فجأة ، وتقول فى حزم ، انتقص منه تهالكها الكثير :

- لقد أجرت اتصالاً معى .

انتفض جسده ، وهو يهتف :

- اتصال ! متى ؟!

بدت مستسلمة تماماً ، وهى تجيب :

- قبل أن ألتقى بك مباشرة .

انخفض صوته مع انفعاله ، وهو يسألها :

- وماذا كان فحوى ذلك الاتصال .

أسبلت جفنيها ، وبدت مستسلمة أكثر ، وهى تجيب :

- أن أجرى اتصالى بك .

وانتفض جسد مستر (X) مرة أخرى .

وبمنتهى العنف ..

فما أجابته به تلك الصينية الحسناء ، كان يقلب الأمور كلها رأساً على عقب ، بمنتهى العنف ..

فهو يعنى أن الزعيمة الغامضة مازالت على قيد الحياة ..

والأدهى أنها تدير اللعبة كلها بالفعل ..

ومنذ البداية ..

* * *

بفكرة واحدة ، ملأت كل خلية فى كيانها ، اندفعت (لوتشيا) ، حاملة مدفعها الآلى ، نحو ذلك المبنى ، الذى يضم الأسرى الأربعة ..

الأسرى الذين طلبت (تيا) الاحتفاظ بهم ..

والذين أمرها (لاماس) بالتخلص منهم ..

ولأنها تبغض تلك الصينية الحسناء ، مثلما لم تبغض أية امرأة من قبل ، فقد قررت تنفيذ أمر محبوبها ..

واغتيال الأسرى الأربعة ..

إنها تعلم أنهم مقيدون داخل زنزانتهم ..

وأن كل ماينقصهم هو التحرر ..

وقليل من الحزم ..

وهى لن تمنحهم فرصة لهذا أو ذاك ..

ستقتحم المكان دفعة واحدة ، وتحصد أربعتهم بمدفعها الآلى فى حزم ..

ووثبت (لوتشيا) نحو باب المبنى ..

ولمحها قائد الكوماندوز ..

وبكل ما تلقاه من أوامر ، صرخ الأمريكى :

ـ الأسرى .. الهدف .

انتبه رجاله فوراً إلى ما يعنيه هذا ، واتجهوا بانتباههم وأسلحتهم نحو الهدف الرئيسى للعملية ..

الأسرى ..

وفوجئت (لوتشيا) بالرصاصات ، تنهال عليها من كل صوب ؛ لتمنعها من بلوغ مبنى الأسرى ..

وأدرك (لاماس) هذا ..

وأدركه رجاله ..

وأدرك الكل أن القتال قد اتجه إلى هدفه ..

ولم تعد مسألة انتصار أو هزيمة ..

أصبحت مسألة كرامة ..

وسمعة ..

وتاريخ طويل فى السيطرة على الأحراش ..

أحراش (كولومبيا) .

وبكل عنف وشراسة الدنيا ، راح إمبراطور المخدرات الكولومبى ورجاله يقاتلون ؛ لمنع (لوتشيا) فرصة بلوغ مبنى الأسرى ..

واغتيالهم ..

ونسفهم نسفاً ..

واقترب الجانبان المتصارعان من الهدف .

وحمى وطيس المعركة أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومع كثافة نيران ، لم يسبق لها مثيل ، اختطف (باولو لاماس) من حزامه جهاز اتصال محدود ، وصرخ عبره :

ـ الهليوكوبتر .. أين الهليوكوبتر ؟!

ولم يكن قد أتم عبارتـه تمامًـا ، عندمـا ظهـرت تلـك الهليوكوبتر ، فى سماء المعركة الحامية ..

وانطلقت رصاصاتها وصواريخها ، نحو رجال الكوماندوز الأمريكيين ..

ومع ظهورها ، اختلّ توازن القوى فى عنف ..

وتحررت (لوتشيا) من النيران ..

ومرة أخرى ، صرخ (لاماس) :

ـ الأسرى ..

وهنا ، أكملت (لوتشيا) اندفاعها ، واقتحمت مبنى الأسرى ، ورأتهم يحدقون فيها ، وأياديهم مثبتة إلى الجدار ، بأغلال من فولاذ ، وأفواههم مكممة بقوة ، فصرخت وهى ترفع فوهـة مدفعها نحوهم :

ـ الموت لكم جميعًا .

وخارج المبنى ، سمع الكل دوى رصاصات ..

رصاصات قاتلة ..

* * *

« اتصال يا أستاذ .. »

ألقى المغربى العبارة فى احترام شديد ، وهو يناول ورقة مطوية إلى (أدهم) ، الذى التقطها فى هدوء ظاهرى ، وهو يقول :

ـ كيف تم ؟!

أجابه المغربى بسرعة :

ـ كما أخبرتنا تمامًا .. من خلال ذلك الوسيط البيروتى .

غمغم (أدهم) :

ـ إنه اتصال صحيح إذن .

فضّ الورقة فى تماسك ، ولكنـه لم يكد يلقى نظرة عليها ، حتى هبّ من مقعده بحركة حـادة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، على نحو جعل الأردنى يتساءل فى قلق :

ـ أخبار سيئة يا أستاذ ؟!

بدا لـه أن مشـاعر (أدهم) كلهـا قد تجمدت تمامًا بضـع لحظات ، قبل أن يستدير إليه ، قائلاً بمنتهى الحزم :

ـ لابد وأن أغادر .

هتف الرجلان ، فى آن واحد :

- تغادر ؟!

نطقاها فى شىء من الهلع ، قبل أن يتساءل الأردنى ، وهو يزدرد لعابه فى صعوبة :

- تغادر (الفالوجة) ؟!

هز (أدهم) رأسه فى بطء ، وهو يدس تلك الورقة فى جيبه ، قائلاً بمنتهى الحزم :

- بل (العراق) .

اللهجة التى نطقها بها ، كانت تمنعهما تمامًا من مناقشته ، إلا أن توترًا لا محدودًا سرى فى جسديهما ، مع شعور مؤلم بالضياع ، و ....

وفجأة ! وصل السورى ..

اقتحم المكان فى انفعال جارف ، وهو يرفع فوهة مسدسه ، هاتفًا :

- إنهم هنا .

استدار إليه (أدهم) مع الرجلين فى تساؤل ، فتابع فى انفعال أكثر :

- رجال (أيكون) هنا .. لست أدرى كيف فعلوها ، ولكنهم يحاصرون المنطقة كلها ، ويطوقونها على نحو تام ، يشبه

ما فعلوه فى تلك المنطقة المنكوبة ، التى شهدت مذبحتهم السابقة ..

لم ينبس (أدهم) ببنت شفة ، ولكنه حمل مدفعه الآلى بمنتهى الحزم ، وهو يندفع نحو الباب ، قائلاً :

- هيا بنا .

اختطف الآخران سلاحيهما بدوريهما ، وهتف الأردنى بالسورى ، فى توتر شديد :

- هل تعتقد أنهم سيكررون مذبحتهم ؟!

امتقع وجه السورى ، وهو يقول بكل انفعاله :

- إنهم يعلمون أننا هنا .

ومع نهاية قوله ، وقبل أن يتحرك ثلاثتهم ، بدأ رجال (أيكون) مذبحتهم الجديدة ..

بكل وحشية الدنيا ..

^RAYAHEEN^

* * *

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث بإذن الله

(الأحـراش)

www.liilas.com/vb3